سلسلة النبي والعترة

والد المهدي

الحسن بن علي العسكري عليه السلام

فوزي آل سيف

دار المحجة البيضاء

والدُ المهديِّ

الحسنُ بنُ علي العسكريُّ عليه السلام

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com

والدُ المهديِّ

الحسنُ بنُ علي العسكريُّ عليه السلام

فوزي آل سيف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

أقدم بين يدي القارئ والقارئة المكرّمين هذا الكتاب في ضمن سلسلة سيرة المعصومين عليهم السلام وهو يتناول مختصرًا من سيرة الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، الحسن بن علي العسكري عليه السلام، والد الإمام المهدي أرجو أن أكون قد وفقت في عرض جانب من حياته الكريمة وسيرته الشريفة، وأذكّر بما سبق في حلقات سابقة من هذه السلسلة بأن غرض هذه السلسلة ومخاطبيها ـ في الغالب ـ هم الفئة متوسطة الثقافة الدينية، وهذا الغرض قد حدد حجم الكتاب كما حدد لغته بحيث تكون سهلة قدر الإمكان، بل ربما حدد حتى اختيار مواضيعه.

إن يكن تحقق ما أردت فيه فللَّه الحمد مبدأ وختامًا، وإن تكن الأخرى فأرجو أن يكون لي ثواب النية في ذلك، وأجر السعي.

أسأل الله سبحانه أن يكرّمني ووالدي وأهلي وقراء هذه الصفحات بشفاعة محمد المصطفى وعترته النجباء إنه على كل شيء قدير.

فوزي بن المرحوم
محمد تقي آل سيف
لندن ـ 13/رمضان /1444هـ

سطور تعريفية

اسمه: الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

صفته: الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

والدته: سليل.

كنيته: أبو محمد.

ولادته: في المدينة سنة 232 هـ.

شهادته: في سنة 260 هـ مسمومًا بتدبير المعتمِد العباسي.

مرقده: في سامراء ـ العراق.

الإمام العسكري
من الميلاد إلى الاستشهاد

1/ والدته وميلاده المبارك:

قد ذكرنا في سيرة والده الإمام الهادي عليه السلام، مختصرًا عن أم الحسن العسكري عليه السلام، وهناك[1] قلنا بأن المؤرخين[2] قد ذكروا بأن الإمام عليًّا الهادي عليه السلام كان له سُرِّية[3] لا غير، وهي أم أولاده جميعًا، وأشرنا إلى ما يحتمل من تعدد أسمائها في الكتب، وأن ذلك ربما يرجع إلى أنها قد تكون مسماة باسمٍ قبل شرائها وقدومها لبيت الإمام، فيغير الإمام اسمها بعدما تكون في بيته، أو يكون حدث خاص ـ كولادتها للإمام التالي ـ فيغير الإمام

(1) آل سيف؛ فوزي: النقي الناصح الإمام علي بن محمد الهادي.

(2) راجع اللجنة العلمية: موسوعة الإمام الهادي عليه السلام1/ 50.

(3) الأزهري؛ محمد بن أحمد: تهذيب اللغة2/ 203 «وَاخْتلفُوا فِي السُّرِّيّة من الإماءِ لِمَ سُمِّيتْ سُرِّيّة؟ فَقَالَ بَعضهم: نُسبَتْ إِلَى السِّرِّ وَهُوَ الْجِماع، وضُمَّت السينُ فَرْقًا بَين المَهِيرة وَبَين الْأمة تكونُ للوطْء، فَيُقَال للحُرَّة إِذا نكحَت سِرًّا: سِرِّية، وللأَمَةَ يتسَّراها صاحبُها سُرِّيّة. وأخبرَني المنذريّ عَن أبي الهَيْثم أَنه قَالَ: السُّرُّ: السُّرُورُ فسمِّيت الجاريةُ سُرِيّةً لِأَنَّهَا مَوضِع سُرورِ الرجل، وَهَذَا أحسنُ الْقَوْلَيْنِ».

اسمها، أو للمحافظة عليها من مراقبة السلطات كما نقل ذلك في أم الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، أو لغير ذلك من الأسباب وتبقى هذه الأسماء جميعها في الروايات، فينقل الاسم متعدداً. ولذا فقد ذكر في أسمائها عليها السلام أنها: حُديث، وسوسن، وسَليل. وهذا الأخير هو الوارد في روايات تمدحها، فقد ذكر المسعودي في إثبات الوصية أنّه: «لمّا أُدخلت سليل أُمّ أبي محمّد (العسكري) على أبي الحسن (الهادي) عليه السلام قال: سليل مسلولة من الآفات والعاهات، والأرجاس والأنجاس، ثمّ قال لها: سيهب اللّه حجّته على خلقه يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا».[1]

وبالإضافة لذلك فإنه يظهر علو منزلتها مما أخبرت عنه السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد وأخت الإمام الهادي من أنها عندما سئلت عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في بداية استتاره، وسألها أحمد بن إبراهيم عن أنه: إلى من تفزع الشيعة؟ فقالت: إلى الجدّة، أُمّ أبي محمّد[2] (وهي سليل زوجة الإمام الهادي وأم العسكري وجدة المهدي) عليها السلام.

ولدت هذه الأم الطاهرة الإمام أبا محمد الحسن في المدينة

(1) المسعودي؛ علي بن الحسين: إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب 244.
(2) المصدر نفسه 272.

المنورة، في سنة احدى وثلاثين ومائتين (231 هـ)[1] أو اثنتين وثلاثين، وكان عمر والده الهادي في ذلك الوقت تسع عشرة سنة وشهورًا[2]. ولا طريق لنا يرجح أحد التاريخين.

2/ من المدينة إلى سامراء:

بعد سنوات من ولادته المباركة أي في سنة 243هـ[3]، هاجر إلى سامراء مع أبيه الهادي عندما استدعاه المتوكل العباسي في قصة ذكرناها في حياة الإمام الهادي، كان نتيجتها أن فرضت الإقامة في سامراء على الإمامين عليهما السلام، وسيعيش الإمام العسكري إلى آخر عمره الشريف حيث سيقضي مسمومًا سنة 260هـ، في هذه المدينة

(1) الطبري (الشيعي)؛ محمد بن جرير: دلائل الامامة ص 157 بسند غير واضح عن أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ الثاني عليه السلام، قال: كان مولدي في ربيع الآخر، سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة. وفي «تاريخ بغداد ت بشار» 8/ 353: «ولد أَبُو مُحَمَّد الْحَسَن بن عَلِيّ بن مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيّ بن مُوسَى فِي سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وتوفي فِي يوم الجمعة».

(2) ذكر الشيخ عزيز الله عطاردي في مسند الإمام العسكري عليه السلام ص 13 أن عمره الشريف كان ست عشرة سنة حين ولادة ابنه العسكري، ولا يتفق هذا مع تاريخ ولادة الإمامين عليهما السلام، فإن الإمام الهادي قد ولد في سنة 212هـ وولد ابنه العسكري في 231هـ، وقد نقل العطاردي نفس هذه التواريخ في كتابه من دون التنبيه على ما فيها من الاختلاف. هذا بالإضافة إلى ما عرف من أن الحسن عليه السلام لم يكن أكبر أولاد الإمام الهادي فقد كان قبله السيد محمد، وربما الحسين فهل يعني أن الإمام أنجب الأول وعمره مثلا أربع عشرة سنة والثاني خمس عشرة؟ لا سيما وأنه لم يكن له إلا زوجة واحدة؟

(3) كنا قد ذكرنا في بعض المحاضرات أنه عليه السلام هاجر مع أبيه وعمره أربع سنوات أو دونها، اعتمادًا على ما ذكر بعض المؤرخين لكننا بما ذكرناه في المتن نعتقد أنه عليه السلام كان أكبر بكثير من هذا العمر إذا فرض أنه ولد سنة 231هـ وتم استدعاء الإمام الهادي وابنه سنة 243 زمان المتوكل!

وسيكون عمره حينها 28 سنة. وربما لهذه الجهة وهي طول فترة إقامته في سامراء التي كانت تعرف بالعسكر حينئذ، فقد اكتسب لقب العسكري[1] نسبة إلى هذه المدينة وهي عاصمة الدولة العباسية في عهدها الثاني.

وقد ذكرنا في كتاب النقي الناصح؛ الإمام علي بن محمد الهادي: أن ما ذهب إليه باحثون[2] أن تاريخ إشخاص الإمام الهادي كان في سنة 233هـ اعتمادًا على الطبري، وبملاحظة ما قيل من أنه مكث في سامراء عشرين سنة، وأنه استشهد سنة 254 فيكون إشخاصه إليها في تلك السنة، مما لم نرَ له وجهًا صحيحًا. فقد سُعي بالإمام عليه السلام من قبل والي المدينة الذي حرّض المتوكل

(1) كذلك والده الإمام الهادي أيضًا يلقب بالعسكري، كما يلحظ الناظر الروايات الواردة عنه حيث يذكره الرواة بهذا العنوان أحيانا.

(2) جعفريان؛ رسول: الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام 2/ 136 قال: «ففي سنة 233هـ قرر المتوكل المجيء بالإمام من المدينة إلى سامراء، وذكر الشيخ المفيد ان ذلك كان في سنة 243هـ، وهو غير صحيح. إذ ان هذا التاريخ إشارة إلى السنة التي استنسخ فيها أحد الشيعة رسالة المتوكل إلى الامام، لكن الشيخ تصور خطأ انها تاريخ جلب الامام إلى سامراء».
أقول: الظاهر أن ما ذكره الشيخ المفيد هو الصحيح دون ما قاله الشيخ جعفريان، ويشير إليه نص الحديث كما في الكافي 1/ 549 حيث جاء: ـ محمد بن يحيى، عن بعض أصحابنا قال: أخذت نسخة كتاب المتوكل إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام من يحيى بن هرثمة في سنة ثلاث وأربعين ومائتين وهذه نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك.. الخ. ولا نفهم معنى واضحًا لأن يستنسخ أحد أصحاب الإمام رسالة المتوكل إلى يحيى بعد 14 سنة لكي يأتي بها للإمام! حتى يقال إن ذلك كان تاريخ الاستنساخ لا تاريخ الرسالة نفسها!

عليه بأنه يهدد ملكه.[1] فكتب الإمام إلى المتوكل في نفس التاريخ يخبره بكذب هذه الوشاية والسعاية، ويخبره عن رؤيا الإمام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه أخبره بذلك، وكان نتيجة تلك الوشاية وكتابة الإمام للمتوكل أمورًا؛ منها عزل الوالي الواشي بعد فترة من الزمان،[2] واستدعاء الإمام إلى سامراء وهذا ما حصل، ونعتقد أنه اصطحب الإمام الحسن العسكري معه.

لقد كان من الطبيعي أن يرحل الإمام عن مدينة جده، مكرَها في ذلك لما ذكرناه هناك من أن الأئمة عليهم السلام لم يكونوا دعاة مواجهة صارخة، وأنهم كانوا يدفعون الأمور بالرفق قدر الإمكان وألّا يجعلوا لأولئك الطغاة سبيلًا عليهم وعلى أتباعهم.

ونعتقد أن ما ذكره المفيد من أن إشخاص الإمام عليه السلام وأشارت إليه الرسالة التي نقلها الكليني سنة 243هـ هو الصحيح لجهات منها ما ذكرناه هناك من:

(1) المسعودي إثبات الوصية ص 233: «كتب عبد الله بن محمد بن داود العباسي رسالة إلى المتوكل جاء فيها: إذا كان لك في الحرمين حاجة فأخرج علي بن محمد منها فإنه دعا إلى نفسه وتبعه خلق كثير، ومن بعد هذا أنفذ المتوكل يحيى بن هرثمة ليأتيه بالإمام الهادي إلى سامراء».

(2) وهو ما أشير إليه في جواب المتوكل العباسي لرسالة الإمام الهادي عليه السلام، فراجع الكليني: الكافي 1/ 549 فقد جاء فيه: «وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان على ما ذكرت من جهالته بحقك واستخفافه بقدرك وعندما قرفك به ونسبك إليه..».

أ/ أننا نستبعد أن يفتتح المتوكل الذي تولى الخلافة في 24/ 12/ 232هـ أي نهاية السنة أن يفتتح عهده باستقدام واستجلاب الإمام عليه السلام خلال عدة شهور!

ب/ وما نضيفه هنا وهو أن عبد الله بن محمد بن داود العباسي الهاشمي ليس له ذكر في ولاة الحرمين قبل سنة 238هـ، ولا بعد سنة 243هـ، فإنه قد ذكرت أسماء ولاة كثيرين[1] على المدينة ومكة[2] من بداية حكم المتوكل العباسي إلا أننا لا نجد ذكرًا لابن اترجة[3] هذا (عبد الله بن محمد العباسي الهاشمي) وهو أساس الوشاية، لا نجد له ذكرًا في الولاة حتى يستطيع أن يقوم بما قام به! وإنما يرد ذكره بدءًا من سنة 238هـ وبقي نحو أربع سنوات ثم عزل سنة 243 أو 242هـ[4] ويظهر أن

(1) عبد الغني؛ عارف أحمد: أمراء المدينة المنورة ص 178 ـ 182.

(2) يشير إلى تاريخ ولايته وعزله ما جاء في كتب التاريخ ففي تاريخ ابن خلدون 3/ 348 قال: «وفي سنة تسع وثلاثين (بعد المئتين) عزل ابن أبي دؤاد عن القضاء وصادره، وولّى مكانه يحيى بن أكثم. وقدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان فولّاه الشرطة والجزية وأعمال السواد، وكان على مكة علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور فحجّ بالناس، ثم ولّى مكانه في السنة القابلة عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى».
وأما ابن الأثير في الكامل 6/ 148فقد ذكر أنه «حج ابن اترجه عبد الله بن محمد بن داود وكان والي مكة سنة 239 و 240 و241هـ».

(3) هو المذكور في بعض الروايات بأنه بريحة العباسي.

(4) وقد صرح بذلك القلقشندي في صبح الأعشى في صناعة الإنشاء 4/ 272: «وليها أي المدينة (عليّ بن عيسى بن جعفر بن المنصور) ثم عزله المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين وولّى مكانه (عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى) ثم عزله المتوكل سنة ثنتين وأربعين ومائتين».

ذلك العزل كان بسبب تعامله السيئ مع الإمام عليه السلام. هذه الفترة لحظ التفاف الناس على الإمام عليه السلام، فأرسل للمتوكل رسالة التحريض، وأرسل الإمام في المقابل رسالة توضيح للمتوكل، فقام المتوكل بعزل هذا الوالي واستقدم الإمام بعدها.

ويظهر أن الأساس في الخطأ كان من الطبري الذي صرح بأنه تمَّ إشخاص الإمام الهادي حيث قال «وفيها ـ يعني سنة 233هـ ـ قدم يحيى بن هرثمة مكة وهو والي طريق مكة بعلي بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر من المدينة»[1] ثم تسابقوا في الأخذ عنه كابن الجوزي في المنتظم 11/ 195. وسبطه في مرآة الزمان، وغيرهما والبعض صرحوا بأنهم أخذوه منه!

وكأنّ الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ـ ثم ابن خلكان في الوفيات[2] ـ قد أخذه من الطبري وزاد عليه أن عليًّا الهادي عليه السلام بقي في سامراء عشرين سنة وشهورًا، فسَرَت هذه الكلمة وسارت في المصادر المتأخرة!

وقد أوردنا البحث المختصر هذا لعلاقته بالإمام الحسن

(1) الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري 9/ 163.

(2) البغدادي؛ أحمد بن علي الخطيب: تاريخ بغداد 13/ 518، وابن خلكان في وفيات الأعيان 2/ 95: «وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر»!

العسكري عليه السلام فإنه بناء على ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن (تسفير) الإمام الهادي من المدينة المنورة في سنة 232 أو 234هـ يعني أن الإمام العسكري كان في سنته الأولى أو أن عمره ثلاث سنوات، بينما سيكون عمره الشريف حين مغادرة المدينة قريبًا من سن الحادية عشر بناء على الرأي الآخر (أنه كان في سنة 243هـ) والذي نتبناه وهو ما أشار إليه الشيخ المفيد ورواية الكليني.

3/ الإمام العسكري في فترة إمامة أبيه:

قد لا نجد حدثا خاصًا في حياة الإمام العسكري عليه السلام أيام إمامة أبيه، سوى النصوص على إمامته، وتعريف الشيعة به، ليتولوه ويؤمنوا بإمامته بعد شهادة أبيه، وحيث كان أولاد الإمام عليه السلام متعددين، وبعضهم كان يتوقع أن يحل محل أبيه ـ لفضله علمًا وعملًا ولكبر سنه ـ فقد بادر الإمام الهادي في وقت مبكر إلى النص على إمامة الحسن ابنه وتعريف الشيعة به، ونفي الإمامة عن سائر أولاده، فقد روي عن عليّ بن أحمد النوفليّ أنه قال: كنّا مع سيّدنا أبي الحسن عليه السلام، فمرّ به ابنه أبو جعفر (السيد محمد)،[1] فقلنا له: هذا صاحبنا بعدك؟ فقال عليه السلام: لا. فقلنا له: ومن هو؟ فقال: ابني أبو محمّد الحسن، لا محمّد، ولا جعفر..[2]

(1) ذكرنا شيئا من ترجمته وفضله في كتابنا: النقي الناصح علي بن محمد الهادي.

(2) الخصيبي؛ الحسين بن حمدان: الهداية الكبرى 386.

وسنتأمل في بعض نصوص إمامته، لنلاحظ:

أولًا: أن فيها نفيًا لإمامة سائر أولاد الإمام الهادي عليه السلام، سواء الصالح منهم والعالم كالسيد محمد (أبي جعفر) أو السيء كجعفر (المعروف بالكذاب). وفي هذا من التأكيد ما يقطع أي احتمال لشخص آخر. وقد مر في الرواية المذكورة آنفًا هذا المعنى.

ثانيًا: ان في هذه النصوص تأكيدًا على فكرة البداء.. ومن المهم أن نشير إليها؛ فإن حقيقتها هي إبداء[1] أمرٍ للناس بعدما كان خافيًا عليهم لسببٍ أو لآخر، بمعنى أن الناس ربما يتوقعون أن يكون الأمر بنحوٍ معين، على حسب مقاييسهم، ويُترك الأمر هكذا من

(1) لتفصيل المطلب يمكن مراجعة كتاب الإلهيات للشيخ السبحاني 574، فقد ذكر هناك ما خلاصته: أن بدو الشيء لله بعدما كان خافيًا عليه لا يؤمن به من يعرف الكتاب والسُّنَّة، حيث تصرح نصوصهما بأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وأن من زعم أنه يبدو لله شيء لم يكن يعلمه فينبغي البراءة منه، ومع ذلك يصرحون بأنه ما عبد الله بشيء مثل البداء، ففيما زعم اليهود أن يد الله مغلولة، وأن الأمور جرت بنحو لا يمكن تغييره، آمن أهل البيت بأن النسخ التشريعي للأحكام بل والتكويني ممكن وواقع، وأن إبداء الله سبحانه ما كان خافيًا على الناس وهو محفوظ في علمه، هو من التوحيد والإقرار بقدرة الله على كل شيء، والبداء في التكوينيات هو مثل النسخ في التشريعيات. لا يستلزم عدم العلم في جهة الله سبحانه وإنما هو إظهار شيء للناس كان خافيًا عليهم من المصلحة في الحكم المنسوخ أو الواقعة التي تم إبداؤها. ولا ينبغي أن يكون الشخص أسير اللفظ بحروفه فكم في القرآن من مجازات لو جمدنا على نصها الحرفي لسببت الجهل بالله، أفهل يمكن أن ننسب النسيان لله حقيقة كما في آية ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾[التوبة: 67]؟ أو ينسب إليه ـ تعالى شأنه ـ الأسف والحزن؟ كما في قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾[الزخرف: 55]؟

دون بيان لعدم الحاجة إليه، حتى إذا حصل ظرفٌ جديد يقوم الإمام ببيان الأمر على حقيقته حيث تتم الحاجة إليه.

وقد نسب البداء لله سبحانه، فجاء في أحاديثنا أنه «ما عبد الله بشيء مثل البداء»[1] وربما أخطأ البعض فنسب البداء لله بمعنى أنه يبدو له الأمر بنحو بعدما كان بنحو آخر، وهذا لا ريب أنه باطل فإنه من نسبة الجهل لله تعالى الله عن ذلك.

وإنما الأمر هو ما قدمناه. وقد نظّر الإمام الهادي عليه السلام ما حصل في شأن ابنه الإمام الحسن العسكري بما حصل في شأن موسى بن جعفر وأخيه إسماعيل، فإن قسما من الشيعة كانوا يتوقعون الإمامة في إسماعيل لما كان عليه من القرب لأبيه وموقعه منه، ولم تكن هناك حاجة لنفي هذا الأمر والدخول في «مشكلة داخلية» في شيعة الإمام الصادق، فلما توفي إسماعيل في حياة أبيه، تمهدت إمامة الإمام موسى بين الشيعة اجتماعيا، فكان ذلك يستوجب شكرًا إضافيًّا.

وهنا أيضًا عندما توفي السيد محمد وهو أكبر سنًّا من أخيه الإمام الحسن العسكري، وكان بعض الشيعة يرونه أهلًا للإمامة، فلما

(1) الكليني؛ محمد بن يعقوب: الكافي ـ دار الحديث ـ 1/ 357: عنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام، قَالَ: «مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلِ الْبَدَاءِ».
وفي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : «مَا عُظِّمَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْبَدَاءِ».

توفي تمهدت إمامة الحسن العسكري اجتماعيًا وسط الشيعة، فكان ينبغي أن يُشكر الله على ذلك.[1] وقد التفت إلى هذا المعنى كبار أصحاب الإمام الهادي، فعن أبي هاشم الجعفريّ قال: «كنت عند أبي الحسن عليه السلام بعد ما مضى ابنه أبو جعفر وإنّي لأفكّر في نفسي أريد أن أقول: كأنّهما ـ أعني أبا جعفر وأبا محمّد ـ في هذا الوقت كأبي الحسن موسى وإسماعيل ابني جعفر بن محمّد عليهم السلام وإنّ قصّتهما كقصّتهما، إذ كان أبو محمّد المرجّى بعد أبي جعفر عليه السلام.

فأقبل عليّ أبو الحسن (الهادي) قبل أن أنطق فقال: نعم يا أبا هاشم بدا للّه في أبي محمّد (يعني العسكري) بعد أبي جعفر (وهو السيد محمد) ما لم يكن يُعرف له، كما بدا له في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله وهو كما حدّثتك نفسك وإن كره المبطلون، وأبو محمّد ابني الخلف من بعدي، عنده علم ما يحتاج إليه ومعه آلة الإمامة.[2]

(1) المصدر نفسه 2/ 114. عن عليّ بن جعفر قال: كنت حاضرًا أبا الحسن عليه السلام لمّا توفّي ابنه محمّد فقال للحسن: يا بنيّ أحدث للّه شكرًا فقد أحدث فيك أمرًا.
وكذلك عن أحمد بن محمّد بن عبد اللّه بن مروان الأنباريّ قال: كنت حاضرًا عند [مضيّ] أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام فجاء أبو الحسن (الهادي) عليه السلام فوضع له كرسي فجلس عليه، وحوله أهل بيته، وأبو حمّد ائم في ناحية، فلمّا فرغ من أمر أبي جعفر التفت إلى أبي محمّد عليه السلام فقال: يا بنيّ أحدث للّه تبارك وتعالى شكرًا فقد أحدث فيك أمرًا.

(2) المصدر نفسه 2/ 119.

ثالثًا: لا بد أن نلفت نظر القارئ العزيز إلى نقطة مهمة وهي تجيب على كثير من الأسئلة، منها أنه كيف عرف جماعةٌ النصَّ على هذا الإمام ولم يعرفه غيرهم؟ أو كيف أن فلانًا وهو من النخبة لم يسمع النص أو لم يروه عن الإمام على خليفته ووصيه؟

وجوابه: أن قسما من السائلين يتصورون ذلك الزمان بمقاييس هذا الزمان، وهذا خطأ كبير. ففي مثل زماننا لو أن مرجعًا مات و تصدى آخر للمرجعية فلا تبقى بلدة ولا مدينة إلا وعرفته لسهولة التواصل بين الناس. وهذا بخلاف تلك الأزمنة فلا سهولة للتواصل، ولا حرية كافية لنشر هذه التعاليم بين الناس!

وأمام هذه المسألة فقد كانت النصوص على الإمام تتخذ أشكالًا مختلفة؛ وبمقدار ما كانت تتيحه الظروف الموجودة (سياسية وأمنية وغيرها) فقد يسمعه شخص على انفراد وقد يكون في مجموعة، وقد يكون مع حادثة خاصة كأن يمر الحسن على جماعة ومعهم والده الهادي فيشار إليه بالإمامة،[1] ويكون غير الحاضرين لهذا المجلس أو الحادثة غير عارفين بهذا النص، وهكذا.. لكننا نعتقد أن الإشارة إليه والنص عليه بدأ مع بداية

(1) المصدر نفسه 2/ 113. عن عليّ بن عمر النوفليّ قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره، فمرّ بنا محمّد ابنه فقلت له: جعلت فداك هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: لا، صاحبكم بعدي الحسن.

إمامة الهادي، بل ومن حين شهادة الإمام الجواد عليه السلام. واستمرت إلى الأيام الأخيرة من حياة الإمام الهادي.[1]

وقد اهتم الإمام الهادي عليه السلام بهذا الأمر اهتمامًا بالغًا ولذلك ـ ربما ـ ما رأينا حصول دعوات إمامة جادة تنافس الإمام الحسن العسكري، فقد حدث من كان حاضرًا في سامراء، وكتب إلى من كان خارجها، وذكروا أن من رواة النص على إمامة الحسن العسكري من أبيه: «يحيى بن بشار القنبري، وعليّ بن عمرو النّوفلي، وعبد اللّه ابن محمّد الأصفهاني، وعليّ بن جعفر، ومروان الأنباري. وعليّ بن مهزيار، وعليّ ابن عمر والعطّار، ومحمّد بن يحيى، وأبو بكر الفهفكي، وشاهويه بن عبد اللّه[2]، وداود بن القاسم الجعفري».

وقسم من هؤلاء كان إخبارهم بالكتابة[3] إليهم، ليخبروا شيعة تلك المناطق التي كانوا فيها.

---

(1) المصدر نفسه والصفحة، عن يحيى بن يسار القنبريّ قال: أوصى أبو الحسن عليه السلام إلى ابنه الحسن قبل مضيّه بأربعة أشهر، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي.

(2) عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام العسكري عليه السلام 18 عن شاهويه بن عبد اللّه الجلاّب قال: كتب إليّ أبو الحسن في كتاب: أردت أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر وقلقت لذلك فلا تغتمّ فإنّ اللّه عزّ وجلّ ﴿لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[التوبة: 115] وصاحبك بعدي أبو محمّد ابني وعنده ما تحتاجون إليه، يقدّم ما يشاء اللّه ويؤخّر ما يشاء اللّه ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[البقرة: 106] قد كتبت بما فيه بيان وقناع لذي عقل يقظان.

(3) أورد الشيخ العطاردي في كتابه مسند الإمام العسكري ص 18 بعض مكاتبات الإمام الهادي لأصحابه يخبرهم بإمامة ابنه العسكري فراجع: كتبه للفهفكي، وشاهويه الجلاب، كذلك يُنظر فصل مكاتباته من موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، الشيخ أبو القاسم الخزعلي 3/ 102.

رابعًا: نلاحظ أن في بعض نصوص الإمامة على العسكري عليه السلام، تنويهًا بذكره بل وبذكر ابنه الإمام الحجة المهدي عجل الله فرجه الشريف. وهذه النصوص كأنها تصيب هدفين في وقت واحد، وفي ما يرتبط بالإمام الحجة تصرح بإمامته قبل ولادته.

فعن داود ابن القاسم قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الخلف من بعدي الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ فقلت: ولِمَ جعلني اللّه فداك؟ فقال: إنّكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه، فقلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجّة من آل محمّد عليهم السلام»[1] وهذا يعني أن الإمام الهادي عليه السلام قد وضع خارطة طريق للشيعة في كيفية التعامل مع قضية الإمام المهدي في ذلك الوقت، بما يتناسب مع الظروف المحيطة.

4/ اعتقال الإمام العسكري أيام الخلفاء:

عاصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام قبيل فترة إمامته وفيها أربعة من الحكام العباسيين:

(1) الكليني: الكافي ـ دار الحديث ـ 2/ 121 عن داود ابن القاسم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الخلف من بعدي الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ فقلت: ولم جعلني اللّه فداك؟ فقال: إنّكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه، فقلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجّة من آل محمّد عليهم السلام.

فقد عاصر أحمد المستعين بن المعتصم الذي تولى الحكم بعد المنتصر العباسي، بدءا من سنة (248هـ إلى 252) وكانت نهايته العزل ثم الموت، وذلك على أثر الصراعات الداخلية التي نشبت بين قادته الأتراك، بل بينه وبين إخوته أيضًا، مما جعله يخرج من سامراء إلى بغداد، الأمر الذي سهل للعسكريين الأتراك أن يخلعوه في سامراء وينصبوا مكانه ابن أخيه الزبير بن المتوكل المعروف بـ (المعتز) والذي هيأ بمعونة حلفائه العسكريين الأتراك جيشًا، وأرسلوه إلى بغداد، فاستسلم المستعين بعد أن خلعه أهل بغداد، ثم خلع نفسه لينجو من القتل، وبايع ابن أخيه المعتز (وأشهدُ على نفسه أنه لا يصلح للخلافة!!) وكان ذلك في سنة 252هـ، ولم يكن ذلك نافعًا له، حتى في النجاة من القتل!

ويظهر من بعض الروايات أن الإمام قد سجن عند أوتامش، وهذا القائد العسكري التركي كان مختصًّا بالمستعين ثم بالمعتز وفي ضمن مجموعته[1] ويخضع للوزير صالح بن وصيف[2] من

(1) هذا قبل أن ينقلب على سيده ويسعى في قتله! حيث لا تفهم هذه القصور والمناصب لغة غير لغة المصالح الشخصية.

(2) الصفدي؛ صلاح الدين: الوافي بالوفيات 16/ 159: صَالح بن وصيف التركي أحد قواد المتَوَكل قدم مَعَه إِلَى دمشق سنة ثَلَاث وَأَرْبَعين وَمِائَتَيْنِ وَكَانَ قد استطال على الْخُلَفَاء وَقتل المعتز وَأخذ أَمْوَاله وأموال أمه قبيحة وَولّى الْمُهْتَدي الْخلَافَة وَحكم عَلَيْهِ وَكَانَ مُوسَى بن بغا بِالريِّ فَكتبت إِلَيْهِ قبيحة تخبره بِمَا فعل صَالح فَسَار مُوسَى إِلَى سر من رأى فَدَخلَهَا واستتر صَالح بن =

حيث الرتبة، وقد ذكر الشيخ المفيد[1] في الإرشاد، أنه سجن عليه السلام عند صالح بن وصيف وأن العباسيين قد دخلوا عليه حين حبس الإمام فقالوا له: ضيق عليه ولا توسع، فقال لهم صالح: ما أصنع به؟! قد وكلت به رجلين شر من قدرت عليه،[2] فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم.

ومن الناحية التاريخية فإن صالحًا بن وصيف هذا قتل في شهر صفر سنة 256هـ في زمان المهتدي العباسي فيكون سجن الإمام عليه السلام قبل هذا ولعله في زمان المعتز العباسي الذي قتل سنة 255هـ بعد عزله.

وعلى هذا يكون أول سجن للإمام عليه السلام بعد توليه الإمامة بعد شهادة أبيه الهادي.

= وصيف فَنَادَى مُوسَى من جَاءَ بِهِ فَلَهُ عشرَة آلَاف دِينَار فَلم يظفر بِهِ أحد وَلما كَانَ بعد مُدَّة ظفروا بِهِ فتضرع إِلَى الَّذِي وجده فَقَالَ لَهُ لَا سَبِيل إِلَى إطلاقك وَلَكِنِّي أَمر بك على أَبْوَاب إِخْوَتك وَأَصْحَابك وقوادك وصنائعك فَإِن أعرض لي مِنْهُم اثْنَان أطلقتك فَمر بِهِ على أَبْوَاب الْمَدِينَة فَلم يعرض لَهُ أحد وقتلوه وحزوا رَأسه.

(1) المفيد؛ محمد بن النعمان: الإرشاد2/ 334.

(2) في مناقب آل أبي طالب 3 / 530 تم ذكر اسم هذين وأحدهما كان أوتامش وفي بعض الكتب علي بن أوتامش وفي بعضها نارمش: (محمد بن إسماعيل العلوي قال: دخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حبس أبو محمد فقالوا له: ضيق عليه، قال: وكلت به رجلين من شر من قدرت عليه: علي بن بارمش واقتامش، فقد صارا من العبادة والصلاة إلى أمر عظيم.

ويظهر أن هذه الفترة شهدت حملة اعتقالات شملت عدداً من كبار شيعة الإمام عليه السلام، وانتهت إليه وهذا ما نستفيده من رواية أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري الذي يحكي لنا مجريات ذلك السجن للإمام عليه السلام، فعن الطبرسي أنه «قال: كان أبو هاشم حبس مع أبي محمد عليه السلام، كان المعتز حبسهما مع عدة من الطالبيين في سنة ثمان وخمسين ومائتين.[1]

حدثنا أحمد بن زياد الهمداني، عن علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثني أبو هاشم داود بن القاسم قال: كنت في الحبس المعروف بحبس صالح بن وصيف الأحمر، أنا، والحسن بن محمد العقيقي، ومحمد بن إبراهيم العمري، وفلان، وفلان، إذ دخل علينا أبو محمد الحسن عليه السلام وأخوه جعفر، فحففنا به، وكان المتولي لحبسه صالح بن وصيف، وكان معنا في الحبس رجل جمحي يقول: أنه علوي.

قال: فالتفت أبو محمد عليه السلام فقال: لولا أن فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم، وأومأ إلى الجمحي أن يخرج فخرج، فقال أبو محمد عليه السلام: هذا الرجل ليس منكم فاحذروه، فإن في ثيابه قصة قد كتبها إلى السلطان يخبره بما تقولون فيه.

(1) لا ريب أن هذا من الاشتباه فإن المعتز عزل وقتل في سنة 255هـ.

فقام بعضهم ففتش ثيابه فوجد فيها القصة يذكرنا فيها بكل عظيمة»![1]

- أصبحت «خلافة الله ومقام رسول الله» في هذه الفترة من تاريخ الأمة، أشبه بلعبة الكرة بل هي أشبه منها بلعبة القمار، فرابحها أمس خاسرها اليوم، وسجينها أمس هو سجانها اليوم! ولذلك لا غرابة أن تكون مدد هؤلاء «الخلفاء» تسعة أشهر ـ كحمل المرأة الطفل في بطنها ـ أو سنتين وثلاث وهكذا. والصراع يكون صريحًا هنا على المال، وإن كان في السابق ليس بهذه الصراحة، فالأتراك يثورون ضد المعتز لأنهم يريدون الأموال، وهو بالصراحة يتضرع لأمه زوجة المتوكل أن تعطيه شيئًا مما عندها من الأموال الطائلة التي جلبت من المسلمين من ضياعهم ومزارعهم ومن غير المسلمين من فتوحات أراضيهم، وهي تعادل ميزانية دولة، لكنها ترفض ذلك، حتى ينقلب الأتراك العسكريون على ابنها ويعزلوه ثم يقتلوه! ويأتي الدور إليها لتجرَّد مما حازته من بيت مال المسلمين[2] على يد هؤلاء العسكر.

(1) إعلام الورى بأعلام الهدى، ج 2، الشيخ الطبرسي، ص 140.

(2) ذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ 6/ 259 في أحداث سنة 249 «أن المستعين أطلق يد والدته ويد أتامش وشاهك الخادم في بيوت الأموال، وأباحهم فعل ما أرادوا، فكانت الأموال التي ترد من الآفاق يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة... وما يفضل من هؤلاء الثلاثة يأخذه أتامش للعباس بن المستعين فيصرفه في نفقاته. =

قُتل الزبير بن المتوكل (المعتز) بنفس السيف الذي قَتل به عمه المستعين بن المعتصم، والجند الذين استعان بهم عليه هم أنفسهم الذين قتلوه! ليأتوا بمحمد (المهتدي) بن الواثق وهذا لم يستقر في تخت الملك سوى تسعة أشهر وأيام! ليُعزَل ويُقتَل.

وكما نصب وعزل الأتراك والعسكر من سبق من الخلفاء (!) فقد نصبوا هذه المرة أحمد (المعتمِد) بن المتوكل العباسي، لتطول ـ وللمرة الأولى مدة 23 سنة (من 256هـ إلى 279)، ولتشهد هذه الفترة مرتين سجن فيهما الإمام العسكري، وأخيرًا شهادته مسمومًا بتدبير المعتمد هذا.

فقد سُجن الإمام عليه السلام في عهد المعتمد العباسي عند علي بن جرين [1] في شهر صفر من سنة 260هـ، أي قبل نحو شهر من شهادة الإمام عليه السلام

= وذكروا أنه حينما خرج المستعين من سامراء وبويع للمعتز سنة 252 هـ خلّف في بيت المال بسامراء نحو خمسائة ألف دينار، وفي بيت مال أم المستعين ألف ألف دينار، وفي بيت المال العباس ابنه ستمائة ألف دينار.

وفي أحداث سنة 255هـ ذكروا أنه ظُفِر لقبيحة أُمّ المعتز وزوجة المتوكل بعد خلع المعتز وقتله، بخزائن تحت الأرض فيها أموال كثيرة، ومن جملتها دار تحت الأرض وجدوا فيها ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار، ووجدوا في سفط قدر مكوك زمرد لم ير الناس مثله، وفي سفط آخر مقدار مكوك من اللؤلؤ الكبار، وفي سفط آخر مقدار كليجة من الياقوت الأحمر الذي لم يوجد مثله، فقوّمت الأسفاط بالفي ألف دينار..».

(1) لم نتوصل لتحديد شخصيته فلا وجود لاسمه ـ بهذا النحو ـ في مصادر مدرسة الخلفاء، ولا في مصادر الإمامية في غير هذا الموضع. بل حتى ضبط الاسم كان مختلفًا من كتاب لآخر بين علي بن جرير، وعلي بن حريز وما هو مذكور في المتن.

في شهر ربيع الأول من السنة نفسها، ولم يطُل زمان سجنه عليه السلام، حتى أفرج عنه ويظهر ذلك من خبر آخر[1] وكذلك فيما روي عن الإمام نفسه بعد خروجه من السجن حيث روى[2] «المحمودي قال: رأيت خط أبي محمّد عليه السلام لما أُخرج من حبس المعتمد: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3]». [4]

وأما تفصيل الخبر فإنه قد حبسه المعتمد في يدي علي بن جرين وحبس أخاه جعفرًا معه وكان المعتمد يسأل عليًّا عن أخباره في كلّ مكان ووقت فيخبره انّه يصوم النهار ويصلّي بالليل فسأله يومًا من الأيام عن خبره فأخبره بمثل ذلك فقال له أمض الساعة إليه واقرأه مني السلام وقل له انصرف إلى منزلك مصاحبًا. قال علي بن جرير (جرين) فجئت إلى باب السجن

(1) روى الكشي / 817، عن محمد بن إبراهيم الوراق السمرقندي أنه مرّ على سامراء في سنة ستين في طريقه إلى الحج، قال: «رأيتهم مغتمين محزونين فقلت لهم ما لكم؟ قالوا: إن أبا محمد عليه السلام قد حُبس. قال بورق: فحججت ورجعت ثم أتيت محمد بن عيسى ووجدته قد انجلى عنه ما كنت رأيت به، فقلت: ما الخبر؟ قال: قد خُلِّيَ عنه». أقول: الغريب في هذه الرواية ان الراوي مر على سامراء وكان الإمام مسجونًا، وهذا يعني أنه كان بحدود شهر صفر أو قبله بقليل، ثم ذهب إلى الحج ورجع ليجده عليه السلام قد خلي عنه، فهل كانوا يذهبون للحج قبل عشرة أشهر؟ ثم لما رجع أي في السنة التي بعدها 261هـ وجدهم مسرورين لخروج الإمام!

(2) المسعودي: إثبات الوصية 255.

(3) الصف: 8.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

فوجدت حمارًا مسرّجًا فدخلت إليه فوجدته جالسًا وقد لبس خفّه وطيلسانه وشاشيته فلما رآني نهض فأديت إليه الرسالة وركب فلما استوى على الحمار وقف فقلت له: فما وقوفك يا سيدي؟ فقال لي: حتى يخرج جعفر، فقلت: انما أمرني بإطلاقك دونه.

فقال: ترجع إليه فتقول له: خرجنا من دار واحدة جميعًا فإذا رجعت وليس هو معي كان في ذلك ما لا خفاء به عليك.

فمضى وعاد فقال له: يقول لك: قد أطلقت جعفرًا لك لأني قد حبسته بجنايته على نفسه وعليك وما يتكلّم به».[1]

ويشير الشيخ المفيد في الإرشاد إلى أنه عليه السلام قد حُبس عند تحرير الخادم في منزله، فهل كان هذا هو نفس السجن السابق الذي حبس فيه الإمام في شهر صفر 260هـ، وأن هذا الخبر يشير إلى جهة أخرى منه أو هو سجن آخر في وقت سابق على سجن علي بن جرين (جرير)؟

لم يستبعد الشيخ الكوراني في كتابه عن الإمام العسكري أن يكون الإمام قد سجن قبل هذا مرة أو أكثر في زمان المعتمد.[2]

(1) المصدر نفسه 254.

(2) الكوراني؛ الشيخ علي: الإمام الحسن العسكري 430.

روايات أخر عن سجنه عليه السلام:

الأولى غير محددة الوقت:

ثم إن هناك روايتين عن سجن الإمام وفيهما حادثتان تذكران في ضمن معاجزه عليه السلام، ولم نتوصل إلى تاريخ الأولى منهما بشكل دقيق وهي: ما نقله حسين بن عبد الوهاب في عيون المعجزات بسنده عن أبي يعقوب إسحاق بن أبان، قال: كان أبو محمّد عليه السلام يبعث إلى أصحابه وشيعته صيروا إلى موضع كذا وكذا والى دار فلان بن فلان العشاء والعتمة في ليلة كذا فإنكم تجدوني هناك وكان المتوكلون به لا يفارقون باب الموضع الذي حبس فيه عليه السلام بالليل والنهار. وكان يعزل في كل خمسة أيام الموكلين ويولي آخرين بعد أن يجدد عليهم الوصية بحفظه والتوفر على ملازمة بابه فكان أصحابه وشيعته يصيرون إلى الموضع وكان عليه السلام قد سبقهم إليه فيرفعون حوائجهم إليه فيقضيها لهم على منازلهم وطبقاتهم وينصرفون إلى أماكنهم بالآيات والمعجزات وهو عليه السلام في حبس الأضداد.[1]

(1) حسين بن عبد الوهاب في عيون المعجزات 131 ولم أعثر على معنى مناسب لاسم حبس الأضداد، وربما يكون معنى ذلك الحبس الذي يحبس فيه الأضداد من الجيدين والسيئين.. وهذا يعد من أصعب الأمور على أهل الإيمان أن يكون مرافقوهم ومصاحبوهم ومخالطوهم من الأشرار والسيئين.

ونحن لا نشك أن الله سبحانه وتعالى قد أقدر أولياءه لإكمال مهماتهم في حفظ الدين ونشر أحكامه، على بعض الجوانب الغيبية، وبطريق الإعجاز، ولكن بعض تلك التفاصيل الواردة في هذه الرواية تشير إلى جزء من أعمال الإمام عليه السلام وأدواره في توجيه أصحابه ومن خلالهم نشر ذلك إلى عموم شيعته.

فمع أنه يمكن أن تفسَّر الحادثة تفسيرًا عاديًّا، بأن يقال بأن الإمام عليه السلام كان يقنع حراسه أو يؤثر عليهم بما يمتلك من وسائل التأثير والإقناع، فيفتحون له الأبواب ليذهب ويرجع! إلّا أننا لسنا مضطرين لهذا الافتراض البعيد نسبيًّا، لا سيما مع تشديد السلطة الحراسةَ، وتغييرهم للحراس كل خمسة أيام، وتوعد الحراس بالعقوبة بعد وصيتهم بمراقبة الإمام وملاحظته.

خصوصًا وأن الإمام عليه السلام كان يعين لهم الوقت والمكان من ليالٍ سابقة، وكان هذا يحصل منه مِرارًا متعددة كما تفيده الرواية وصيغة «كان يبعث إلى أصحابه..».

هذه الرواية لا يوجد فيها ما يشير إلى زمان أحداثها، وهل أن هذا السجن تم في أوائل إمامة الإمام عليه السلام أو في أيام المعتمد؟ ومتى حصل ذلك؟ وكم استغرق هذا السجن من حياته الشريفة.

والثانية ؛ تثير تساؤلًا:

قضية الجاثليق ونزول المطر:

وهي ما نقله قطب الدين الراوندي في الخرائج والجرائح وابن الصباغ المالكي عن سجنه عليه السلام مع شيعته أيام المعتمد العباسي، وخروجه بعد فترة قصيرة، وحله شبهة الجاثليق النصراني التي كادت تعصف بثقة الناس بدينهم.

فإنه بعد أن نقل عن أبي هاشم الجعفري الرواية التي سبق ذكرها في صفحات سابقة «كنت في الحبس الذي بالجوشق أنا والحسن بن محمد العتيقي ومحمد بن إبراهيم العمري وفلان خمسة ستة من الشيعة، إذ دخل علينا أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام واخوه جعفر..» وأن الإمام أخبرهم بأن بينهم جاسوسا يدعي أنه هاشمي وليس كذلك وأنه قد كتب عنهم تقريرًا للسلطة عما يقولون.. وأن ذلك كان أيام المعتمد العباسي وكان المتولي للسجن صالح بن وصيف الحاجب. إلى أن قال أبو هاشم: «ثم لم تطل مدة أبي محمد الحسن في الحبس ألا أن قحط الناس بسرّ من رأى قحطا شديدا، فأمر الخليفة المعتمد على اللّه ابن المتوكل بخروج الناس إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فلم يسقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع

إلى الصحراء وخرج معه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب كلما مدّ يده إلى السماء ورفعها هطلت بالمطر.

ثم خرجوا في اليوم الثاني وفعلوا كفعلهم أول يوم فهطلت السماء بالمطر وسقوا سقيًا شديدًا، حتى استعفوا، فعجب الناس من ذلك وداخلهم الشك وصغا بعضهم إلى دين النصرانية فشق ذلك على الخليفة، فانفذ إلى صالح بن وصيف ان اخرج أبا محمد الحسن بن علي من السجن وائتني به.

فلما حضر أبو محمد الحسن عند الخليفة قال له: أدرك أمّة محمد فيما لحق بعضهم في هذه النازلة، فقال أبو محمد: دعهم يخرجون غدا اليوم الثالث، قال: قد استعفى الناس من المطر واستكفوا فما فائدة خروجهم؟ قال: لأزيل الشك عن الناس وما وقعوا فيه من هذه الورطة التي أفسدوا فيها عقولًا ضعيفة.

فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان ان يخرجوا أيضًا في اليوم الثالث على جارى عادتهم وان يخرجوا الناس، فخرج النصارى وخرج لهم أبو محمد الحسن ومعه خلق كثير، فوقف النصارى على جارى عادتهم يستسقون إلا ذلك الراهب مدّ يديه رافعًا لهما إلى السماء، ورفعت النصارى والرهبان أيديهم على جاري عادتهم، فغيمت السماء في الوقت ونزل المطر.

فأمر أبو محمد الحسن القبض على يد الراهب واخذ ما فيها، فإذا بين أصابعها عظم آدمي، فأخذه أبو محمد الحسن ولفه في خرقة وقال: استسق. فانكشف السحاب وانقشع الغيم وطلعت الشمس فعجب الناس من ذلك، وقال الخليفة: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: عظم نبي من أنبياء اللّه عز وجل ظفر به هؤلاء من بعض فنون الأنبياء وما كشف عن عظم نبي تحت السماء إلّا هطلت بالمطر، واستحسنوا ذلك فامتحنوه فوجدوه كما قال.

فرجع أبو محمد الحسن إلى داره بسرّ من رأى وقد أزال عن الناس هذه الشبهة وقد سرّ الخليفة والمسلمون ذلك وكلّم أبو محمد الحسن الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن، فأخرجهم وأطلقهم له، وأقام أبو محمد الحسن بسر من رأى بمنزله بها معظما مكرّمًا مبجلًا وصارت صلات الخليفة وانعامه تصل إليه في منزله إلى أن قضى تغمّده الله برحمته.[1]

ولنا أن نسجل الملاحظات التالية:

1/ إننا نعتقد أن الله سبحانه بعدما عيّن أئمة الهدى قادة للناس،

(1) عطاردي: مسند الإمام العسكري ص 32، والخزعلي في موسوعة الإمام العسكري 2/ 142 ناقلاً عن ابن حمزة ت 560هـ في الثاقب في المناقب، وعن القطب الراوندي ت 573 في الخرائج وعن ابن شهرآشوب ت 588هـ في المناقب، وعن ابن الصباغ المالكي ت 855هـ في الفصول المهمة، وعن ابن حجر المكي ت 973هـ في الصواعق المحرقة.. وعن غيرهم.

كان لا بد أن يزودهم بما يثبت ذلك، فجرت على يدهم الكرامات المشيرة إلى اتصالهم الخاص به سبحانه، وأقدرهم على ما لا يقدر عليه غيرهم، فمن الطبيعي أن يعلموا ما لا يعلمه الناس، وإذا تمت الرواية المذكورة فهي تأتي ضمن هذا السياق.

2/ كذلك نعتقد أن الأئمة عليهم السلام مع أنهم أُبعِدوا عن المراتب التي رتبهم الله فيها وعُزلوا عن إمامة الناس الظاهرية إلا أنهم كانوا يتدخلون في كل موضع كان يحصل فيه تهديد لكيان الإسلام، سواء بشبهة فكرية كما هو الحال في هذه الرواية، أو بمشكلة اقتصادية كما حصل في زمان الإمام السجاد عليه السلام أو بافتعال نزاع على القيادة كما كان في زمان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

بل إن خلفاء الوقت كانوا يعلمون أن الجهة الوحيدة التي تستطيع حل المشاكل العويصة التي لا يقدر عليها هؤلاء الخلفاء والحكام هي جهة الأئمة عليهم السلام، فكانوا يلجؤون إليهم مرغمين تحت وطأة هذه الحاجة وكان الأئمة عليهم السلام يتعاملون مع تلك المشاكل بمنطق المسؤولية الكاملة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام «لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ـ ووَاللَّهِ لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ

الْمُسْلِمِينَ ـ ولَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً ـ الْتِمَاسًا لأَجْرِ ذَلِكَ وفَضْلِه ـ وزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوه مِنْ زُخْرُفِه وزِبْرِجِه».[1]

3/ إن التوسل بذكْر الأنبياء والرسل والأولياء هو من الأمور الثابتة في عقيدتنا بل عند المسلمين إلا من شذّ منهم وهو محجوج بالأدلة، واتفاق المسلمين وسيرتهم. ولذلك لو فرضنا أن أحدًا فسر ما حصل في الرواية بأنه من التوسل بالأنبياء، لما اعترض عليه معترض. فإن أتباع مدرسة الخلفاء ينقلون عن توسل واستشفاع الخليفة الثاني بعم النبي المصطفى «العباس بن عبد المطلب» وأنه على اثر ذلك حصل نزول المطر، وبالنسبة لأئمتنا فالأمر أكثر من أن يحصيه العادّ.

مع الأخذ بعين الاعتبار كل ما سبق فإن للمناقشة في الرواية المذكورة مجالًا لكي نسجل عليها الأمور التالية:

أولها: يظهر أن أول من ذكر هذه الرواية هو القطب الراوندي (ت 573هـ)، وذكر مختصرها ابن شهر اشوب (ت 588هـ) من الإمامية وابن الصباغ المالكي (ت 855هـ) من أتباع مدرسة الخلفاء في كتابه الفصول المهمة وعنهما انتشرت وسرت في

(1) الإمام علي عليه السلام: نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، 102.

المصادر السنية والشيعية وأخذ المتأخر ينقل عن المتقدم.

وثانيها: أننا لم نجد في غير هذه الرواية مضمونًا يفيد وجود ارتباط بين كشف عظام النبي؛ أي نبيٍّ وبين نزول المطر، لم نجد هذا في روايات أخر عن أهل البيت عليهم السلام، ومن المعلوم أن بعض الأنبياء قد بقيت جنائزهم لبعض الوقت على الأرض من غير مواراة، وأما الأئمة والأوصياء فما قضية الحسين عليه السلام عنا ببعيد!

وكذلك ما روي من نقل بعض عظام الأنبياء فإنه قد روي أن الله سبحانه أوحى إلى النبي موسى بن عمران عليه السلام، أن أخرج عظام يوسف بن يعقوب من مصر، فأخرجه في صندوق من مرمر إلى الشام[1].

مع أن موضوع بقاء عظام الأنبياء في القبر هو محل نقاش بين العلماء، وفيه روايات مختلفة. فكيف عثر هذا النصراني على ذلك العظم واستخرجه وعرف فيه هذه الخاصية؟

وقد أشار إلى هذه الملاحظة العلامة الكوراني بقوله: «ويوجد إشكال في هذه الرواية هو أن أجساد الأنبياء عليهم السلام لا تبلى ولا

(1) السيد الخوئي: صراط النجاة: 5 / 286. قال: «ثبت نقل عظام بعض الأنبياء غير أولي العزم عليهم السلام كما ورد بالنسبة إلى بعض آخر منهم، وهذا معناه أنه لم يبق من جسدهم عند النقل إلّا العظام، وأما بالنسبة إلى الأنبياء أولي العزم عليهم السلام فلا يحضرني الآن شيء، لكن ورد بالنسبة إلى الأئمة أن أجسادهم لا تبقى في القبر بل ترفع إلى السماء ولو بعد أيام، وهذا يقتضي أن يكون الأمر بالنسبة إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أيضًا كذلك، ونفس الأمر بالنسبة إلى الأنبياء أولي العزم أيضًا كذلك».

تنفصل عنها عظامها، فقد روى الحاكم 4/ 560: «إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». وصححه على شرط الشيخين، ورواه غيره أيضًا».[1]

وثالثًا: فإن المذكور في كتاب القطب الراوندي؛ الخرائج أن الحادثة كانت في زمان المتوكل العباسي، وقد قتل في سنة 247هـ أيام إمامة الإمام الهادي عليه السلام، وقبل إمامة الحسن العسكري بنحو سبع سنوات، فلا يمكن أن تكون الحادثة في زمان المتوكل وفي نفس الوقت في زمان الإمام العسكري. ولذلك اضطر البعض لحل المشكل بذكر اسم المعتمد ابنه، في أول الخبر.

وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة وإن تجاوز هذا ونقل الحادثة على أنها أيام المعتمد، ولكنه وقع فيما يقع فيه مؤرخو مدرسة الخلفاء، فأضاف إليه ما لا يتناسب مع الحقائق التاريخية بقوله: «وأقام أبو محمد الحسن بسر من رأى بمنزله بها معظما مكرّما مبجلًا وصارت صلات الخليفة وانعامه تصل إليه في منزله إلى أن قضى تغمّده الله برحمته»! فأي تعظيم وتكريم وتبجيل حصل للإمام من الخليفة المعتمد وهو الذي سمه، ومتى كانت صلات الخليفة وأنعامه تصل إليه؟ وهل أن الإمام قضى أو قُتل مسمومًا؟

(1) الكوراني: الإمام الحسن العسكري، ص 83.

قد تقدم شيء من ذكر مواقف المعتمد السيئة تجاه الإمام إلى أن أمر بتسميمه فقضى شهيدًا كما سيأتي بعد قليل.

وبينما رواها ابن الصباغ مرسلة رواها القطب الراوندي وابن شهرآشوب عن علي بن الحسن بن سابور، وهو شخص «ما وجدنا بهذا العنوان ذِكرًا في كتاب رجال الحديث» كما ذكر الشيخ العطاردي.[1]

مع أنه لو كان له ذِكر لما نفع حيث الفاصلة بين المؤلفين وبينه وبين الحادثة طويلة جدًا تصل إلى نحو ثلاث مئة سنة!

5/ شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

كما تفضح الأحداث مرتكبيها، كذلك صنع مقتل الإمام العسكري عليه السلام إذ فضح القائمين به بل والطريقة! نقول مقتله خلافًا لما ذهب إليه بعضهم من أنه «مات»!

- وذلك أن «موت» شابٍّ في أوائل العمر والقوة (28 سنة) من غير شكوى ظاهرة من مرضٍ هو ممّا يستوجب الاحتمال بأنه ليس موتًا طبيعيًّا.
- فإذا ضُم إلى ذلك أنه قد سُجن في سجن عدوه ـ تعسفيًّا

(1) عطاردي: مسند الإمام العسكري ص 323.

ومن غير مبرر - وجُعل معه جاسوسٌ في داخل السجن يوافيه بأخباره وأخبار أصحابه، كما يطلب من السجان باستمرار معلومات عنه،[1] ثم بعد فترة قصيرة أُفرج عنه بنفس الطريقة التي حبس بها! زاد احتمال أن يكون تم التخلص منه ولم يمت حتف أنفه.

- ولا سيّما إذا كان على الطرف الآخر وهو طرف السلطة العباسية شخص قد اتخذ من الحيل وطرق التخلص من أعدائه (أو من يتصورهم كذلك) سلاحًا دائمًا، ولم يكن بالذي يراقب ربه، ولا يخشى قانون مساءلة! فهذه كلها تعزز الاتجاه نحو الحكم بأن تلك الموتة كانت غير طبيعية.

- ثم إن طريقة المعتمد العباسي ورجال السلطة، في إظهار أن موتة الإمام كانت طبيعية تشبه بل تتطابق مع ما صنعه سابقوهم مع ضحاياهم! وقد نقل الشيخ الكوراني عن معالم الخلافة تلك الطريقة: «لما وليَ المعتز لم يمض إلا مدة حتى أُحضر الناس وأخرج المؤيد فقيل: أشهدُوا أنه دعي فأجاب وليس به أثر! ثم مضت أشهر فأحضر الناس

(1) راجع الخبر السابق عن وجود جمحي يدعي أنه علوي قد كتب رقعة للمعتمد يصف الإمام وأصحابه بكل عظيمة، وأن المعتمد كان يسأل السجان ـ عليّا بن جرين ـ عنه كل يوم!

وأخرج المستعين، فقال: إن منيته أتت عليه وها هو لا أثر فيه، فأشهدُوا! ثم مضت مُدَيْدَة واستخلف المهتدي فأخرج المعتز ميتًا وقيل: أشهدُوا أنه قد مات حتف أنفه ولا أثر به! ثم لم تكمل السنة حتى استخلف المعتمد فأخرج المهتدي ميتًا وقيل: أشهدُوا أنه قد مات حتف أنفه من جراحته»![1]

وقد رأينا نفس هذا الأسلوب قد استعمله هارون الرشيد العباسي عندما أمر بسمّ الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ثم نودي على جنازته بأن: هذا موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه! بل أوفدوا له جماعة في سجنه ليشهدوا على ذلك ويسجلوا شهادتهم الكاذبة! ونفس الأمر حصل بالنسبة للإمام علي الهادي عليه السلام.

إن هذه الطريقة لتعرب بوضوح عن فكرة «يكاد المريب أن يقول خذوني».

كما أن ما جرى على منزل الإمام عليه السلام بعد شهادته ودفنه من الهجوم عليه من رجال السلطة ومحاولة اعتقال ابنه المهدي عجل الله فرجه الشريف، وتفتيش المنزل تفتيشًا دقيقًا بل واحتجاز الجواري والنساء اللاتي كن في المنزل، قد فضح الأعمال التظاهرية التي مارسها أعوان

(1) الكوراني: الإمام الحسن العسكري عليه السلام ص 418 عن معالم الخلافة 3 / 371.

السلطة، من جلب المتطببين، والتظاهر برعاية الإمام[1] ورفع خبره إلى المعتمد.

ومع أن مصادر مدرسة الخلفاء ذكرت أنه توفي في هذا التاريخ، من دون إشارة إلى سبب الوفاة في ذلك السن المبكر، إلا أن الصحيح هو ما أفاده الشيخ الصدوق من أن: «الحسن بن علي العسكري عليه السلام قتله المعتمِد بالسم».[2]

6/ من أعمال الإمام العسكري في فترة إمامته:

بالرغم من أن مدة إمامة الإمام الحسن العسكري كانت قصيرة نسبيًّا بل لعلها أقصر الفترات في إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام حيث استمرت من سنة (254هـ) وهي سنة شهادة والده الإمام علي الهادي عليه السلام إلى شهادته نفسه في سنة (260هـ) وهي لا تتجاوز

(1) الكليني: الكافي ـ دار الحديث ـ 2/ 614: ينقل الحديث عن أحمد بن (الوزير الأول) عبيد الله بن خاقان الذي قال في حديث.. «لما اعتل بعث الخليفة إلى أبي (وزيره) أن ابن الرضا قد اعتل، فركب من ساعته فبادر إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلًا ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته، فيهم نحرير، فأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف خبره وحاله، بعث إلى نفر من المتطببين، فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده صباحًا ومساءً، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة، أُخبر أنه قد ضَعُفَ، فأمر المتطببين بلزوم داره، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه، وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به في دينه وأمانته وورعه، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلًا ونهارًا، فلم يزالوا هناك حتى توفي..

(2) الصدوق ؛ محمد بن علي بن بابويه: الإعتقادات 99، وذكره ابن حجر في الصواعق 208 هكذا «ويقال إنه سم أيضًا».

بهذا التحديد ست سنوات، مع ذلك فإنه قام بأعمال مهمة ترتبط بأتباعه وشيعته في زمانه وما بعد ذلك الزمان إلى أيامنا هذه. بل ترتبط بمن يريد الهداية من أبناء الأمة الإسلامية.

- **تهيئة الشيعة للغَيبة المهدوية**: فمن ذلك ما اعتمده عليه السلام من تهيئة الأمة لاتباع إمام قد يغيب عنهم لبعض الوقت أو كله، ويبقى هؤلاء الناس مرتبطين بالقيم والمبادئ التي بثها عندهم وربّاهم عليها، وهذا أمر ليس من السهولة بمكان. فقد وجدنا أن نبي الله موسى عليه السلام ما أن غاب وذهب لميقات ربه حتى استطاع السامري أن ينفذ مخططه الرامي إلى انحراف أمة بني إسرائيل وقد نجح جزئيًا في ذلك.[1] بل لقد رأينا حالة مشابهة لذلك في الأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتحاقه بخالقه وكيف أنهم انقلبوا على الأعقاب بالنحو الذي تحدثت عنه الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام،[2] فكان

(1) في سورة طه من آية 83 ـ 87 ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ (*) قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ (*) قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ (*) فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي (*) قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾.

(2) الطبرسي؛ أحمد بن علي: الاحتجاج 1/ 136 «فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الأقلين وهدر فنيق المبطلين فخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفًا بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغِرّة فيه ملاحظين..»

أن عوَّد الإمام شيعته وأتباعه على أن لا يكون حضوره دائمًا ومباشرًا بينهم، بل تعامل معهم بطريقة الاحتجاب والغياب.

فكان مع حضوره عليه السلام يمنع من التواصل العلني والمباشر معه، وفي بعض الفترات حتى بمستوى السلام عليه.[1] ومع أن هذا الأمر بدأ بحياة أبيه الإمام الهادي إلا أنه استمر وتكرس بشكل أكبر في حياته عليه السلام لتتعود الأمة عليه، ولا يكون غياب القائد عنها نقطة انعطاف عن الهدى وانحراف عن المسيرة، تمهيدًا لما سيحصل من غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإلى هذا يشير المسعودي (ت 346هـ) في كتابه إثبات الوصية الذي يعد من أقدم المصادر وأقربها من زمان الغيبة فقد جاء فيه: «وروي أن أبا الحسن (الهادي) صاحب العسكر احتجب عن كثير من الشيعة إلا عن عدد يسير من خواصّه فلما أفضي الأمر إلى أبي محمّد عليه السلام كان يكلّم شيعته الخواص وغيرهم من وراء الستر إلّا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان وان ذلك انما كان منه ومن أبيه قبله مقدّمة لغيبة صاحب الزمان لتألف الشيعة ذلك ولا تنكر الغيبة وتجري العادة بالاحتجاب والاستتار».[2]

(1) الراوندي؛ قطب الدين: الخرائج والجرائح 1/ 439 ما روي عن علي بن جعفر الحلبي قال: اجتمعنا بالعسكر، وترصدنا لأبي محمد عليه السلام يوم ركوبه، فخرج توقيعه: «ألا لا يسلّمن عليّ أحدٌ، ولا يشير إلي بيده، ولا يومئ أحدُكم، فإنكم لا تأمنون على أنفسكم». وعندما أراد أحدهم أن يأتي إليه عليه السلام لطلب حاجة ناداه: يا أبا محمد لا تدن مني فان عليّ عيونًا! كما ذكره الشيخ عزيز الله عطاردي في مسند الإمام العسكري عليه السلام ص 107.

(2) المسعودي: إثبات الوصية ص 272.

ـ التعريف بخليفته المهدي عليه السلام:

فإنه عليه السلام عرّف أصحابه على إمامهم من بعده، ليؤكد حقيقتين؛ ولادته الفعلية وفيها ردٌّ على الفكرة التي أشاعها علماء مدرسة الخلفاء من أن المهدي حقيقة دينية ولكنه يولد في آخر الزمان قبيل ظهوره! فبين الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن المهدي الذي جاءت بذكره الأخبار هو ابنه، وأنه قد ولد فعلًا في حياة أبيه، وقام بعرضه على من يثق به من كبار شيعته. وقد ذكرنا في موضع آخر تفاصيل عن هذا التعريف به عليه السلام.

وليؤكد حقيقة ثانية وهي أن المهدي هو الخليفة من بعده وأن على المؤمنين إظهار ولائهم له، وبيعتهم إياه. وسنذكر حادثة واحدة هنا لما فيها من الجهات النافعة المتعددة في هذا الشأن.

فقد روى أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعريّ[1] قال: دخلت

(1) مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام: أحمد بن اسحاق الثقة المرضي ص 14: كان أحمد بن إسحاق كبير القدر صالحًا صدوقًا ثقةً مرضيًّا مشهورًا وشيخ القمّيّين ووافدهم، إذ كان علماء قمّ ومحدّثوهم في منزلةٍ عظيمةٍ من الورع والإتقان في الحديث والرواية والمعرفة بآل محمّدٍ عليهم السلام، ولا يكون رسول قومٍ إلى الأمير أو السلطان أو الإمام إلّا أوجههم وأوثقهم وأرفعهم شأنًا وأسرعهم انتقالًا وأنصبهم إذنًا وأسبقهم خيرًا وأشرفهم نبلًا ؛ فإذا اختار مشايخ القمّيّين وأعاظمهم أحمد بن إسحاق وافدًا لهم على إمام زمانهم ـ صلوات اللّه عليه ـ ظهر أنّه كان مقدّمهم وشيخهم وكبيرهم وأوثقهم في صفاته وأحواله وأفعاله عندهم. عاش رحمه الله في زمن إمامة أربعةٍ من أئمّة الهدى، وهم: الجواد والهادي والعسكري والمهدي المنتظر سلام اللّهِ عليهم أجمعين.

على أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخَلَف من بعده، فقال لي مبتدئًا: يا أحمد بن إسحاق إنّ اللّه تبارك وتعالى لم يُخلِ الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجّةٍ للّه على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزّل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض.

قال: فقلت له: يا بن رسول اللّه فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعًا فدخل البيت، ثمّ خرج وعلى عاتقه غلام كان وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على اللّه عزّ وجلّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سميّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وكنيّه، الّذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا.

يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الامّة مثل الخضر عليه السلام، ومثله مثل ذي القرنين، واللّه ليغيبنّ غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلّا من ثبّته اللّه عزّ وجلّ على القول بإمامته ووفّقه فيها للدّعاء بتعجيل فرجه.

فقال أحمد بن إسحاق: فقلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئنّ إليها قلبي؟

فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربيّ فصيح فقال: أنا بقيّة اللّه في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثرًا بعد عين يا أحمد بن إسحاق.

فقال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسرورًا فرحًا، فلما كان من الغد عدت إليه فقلت له: يا بن رسول اللّه لقد عظم سروري بما مننت به عليّ! فما السنّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟ فقال: طول الغيبة يا أحمد، قلت: يا بن رسول اللّه وإنّ غيبته لتطول؟ قال: إي وربّي حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ولا يبقى إلّا من أخذ اللّه عزّ وجلّ عهده لولايتنا وكتب في قلبه الإيمان وأيّده بروح منه.

يا أحمد بن إسحاق: هذا أمرٌ من أمر اللّه، وسرٌّ من سرّ اللّه، وغيبٌ من غيب اللّه، فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكن معنا غدًا في علّيّين».[1]

- ونلحظ في هذه الرواية نقاطًا: فمنها ما كان في جواب الإمام عمّا كان في قلب أحمد بن إسحاق من دون أن يتلفظ أحمد بشيء، وهذا أحد علامات الإمامة وبراهينها ويشير إلى ارتباط الشخص الخاص بالله عز وجل.
- كما نلحظ جواب الإمام له أنه كان على القاعدة المسلمة في علم الكلام والمدلول عليها بالآيات، والكثير من الروايات بالإضافة إلى الدليل العقلي، وهي أن الأرض لا تخلو من حجة إلهي.

(1) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: كمال الدين وتمام النعمة ص 385.

وبيّن عليه السلام لأحمد أن دور الحجة الإلهي (النبي والإمام) ليس تشريعيًّا فقط وإنما بالإضافة إلى ذلك هو تكوينيٌّ أيضًا «إنّ اللّه تبارك وتعالى لم يُخلِ الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجّة للّه على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزّل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض». وقد ذكرنا شيئا من الروايات وتحليلها في كتابنا: الإمام المهدي.

وأصحاب الأئمة وإن كانوا مسلّمين بما يقوله أئمتهم، إلا أن ذلك لم يكن ليمنعهم من النقاش والاستعلام ولذلك فإنه بعدما بيّن الإمام القاعدة المذكورة سأله أحمد: مَن الخليفة بعدك؟

وأجاب الإمام عليه السلام بالتعيين بما يرفع الإبهام من كل الجهات، فقال: «ابني، سميُّ الرسول، وكنيُّه، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا.

وحيث أنه سيغيب فقد نظّر له بمثالين[1] أحدهما لا يزال حيًّا، وهما الخضر وذو القرنين عليهما السلام.

(1) لاحظنا أن التنظير لخصائص المهدي بما كان من سنن الأنبياء كثير في الروايات لإبعاد الاستغراب، وكان ذلك من وقت مبكر كما نجد في الرواية عن الإمام زين العابدين: «في القائم منّا سننٌ من الأنبياء سنّة من أبينا آدم عليه السلام وسنّة من نوح وسنّة من إبراهيم، وسنّة من موسى، وسنّة من عيسى، وسنّة من أيّوب وسنّة من محمّد صلوات اللّه عليهم، فأمّا من آدم ونوح فطول العمر وأمّا من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال النّاس وأمّا من موسى فالخوف والغيبة وأمّا من عيسى فاختلاف النّاس فيه، وأمّا من أيّوب فالفرج بعد البلوى، وأمّا من محمّد صلى الله عليه وآله فالخروج بالسيف». كمال الدين وتمام النعمة / 352.

ولكي يكون الأمر عيانًا ووجدانًا فإنه عليه السلام أرى أحمد بن إسحاق، الإمامَ المهديَّ وهو صغير السن ليرى الآية الأخرى وهي كلام المهدي الفصيح، ذلك أن ابن ثلاث سنين وإن كان ممكنًا أن يتكلم، إلا أن هذا الكلام الخاص معبر عن عقائد الإمامة «أنا بقيّة اللّه في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثرًا بعد عين»!.

- **التخطيط لما بعد مرحلة الغيبة الفعلية**: والتي ستحصل في زمان ابنه الإمام المهدي عليه السلام فقد أطلق عددًا من التوجيهات، التي تعتبر بمثابة خارطة طريق للمسير. هذا بالرغم من أن موضوعها ليس مسألة ابتلائية في زمانه هو عليه السلام، ولكن مثلما احتجب عن الناس في فترات ليعوّدهم على احتجاب وغيبة الإمام المهدي (الصغرى ثم الكبرى).

فمن ذلك ما روي عنه عليه السلام في التوقيع المشهور عند الإمامية «فأمّا من كان من الفقهاء صائنًا لنفسه، حافظًا لدينه، مخالفًا على هواه، مطيعًا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه».[1]

وقد يأتي بحث خاص في هذا الموضوع يناقش تكوين الإمام العسكري مجتمعًا شيعيًّا ضمن منهاج الأئمة موازيًا للمجتمع العام يعيش فيه ولا يعيش معه خياراته وطريقة حياته.

(1) الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة (آل البيت) 27/ 131.

ميزات الإمامة الشيعية
(الإمام العسكري نموذجًا)

مع أن كلمة «الإمام والإمامة» هي من الكلمات المتداولة على الألسنة وفي الثقافة الإسلامية وعلم الكلام، إلا أننا نرى من اللازم التذكير بأبعادها ومعانيها لدى الشيعة الإمامية، فإنه لا يستوي هذا المصطلح عندهم وعند غيرهم من الفرق الإسلامية.

وقد ذكرنا في مواضع أخر من هذه السلسلة بمناسبة أو أخرى شيئا يتصل بهذا المصطلح، لكننا نعيد التذكير به ونشير إلى بعض ما لم يذكر في تلك المواضع.

فمن ميزات الإمام عند الشيعة (والإمامة بالتالي):

1/ **أن يكون انتخابه وتعيينه إلهيًّا**، وفي هذا الإمام يشبه النبي في أن مصدر شرعيته وحجية كلامه وقداسة نفسه نابع من تعيين الله سبحانه إياه وانتخابه لهداية البشر، وتلخص ذلك الآية المباركة ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾،[1] وهنا

(1) القصص: 68.

قد تتوافق مقاييس البشر ـ إذا حكّموا عقولهم ـ مع الانتخاب الإلهي، وقد لا تتوافق كما هو الغالب ولذلك يتساءل القرشيون باستغراب ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾! ويجيبهم القرآن الكريم ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾؟.[1]

نعم ربما أشار المعصوم (من نبي أو وصي) إلى بعض الصفات الخفية على الناس والموجودة في هذا الإمام الذي ينص عليه، وهذا ما نجده في بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في شأن أمير المؤمنين عليه السلام[2] وهو نفس الأمر الذي أخبر عنه الإمام علي الهادي في حق ابنه الحسن العسكري، مع وجود إخوة كانوا من الفضل بحدٍّ حتى ظن قسم من الناس فيهم الإمامة، فأشار الإمام الهادي إلى ابنه العسكري قائلًا: «أبو محمد أصح آل محمد غريزة وأوثقهم حجة وهو الأكبر[3] من ولدي وهو الخلف وإليه تنتهي عُرى الإمامة».[4]

---

(1) الزخرف: 31 ـ 32.

(2) كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: كما في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل2/ 627: «الصديقون ثلاثة: حبيب بن مري النجار مؤمن آل ياسين، وخرتيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب الثالث، وهو أفضلهم».

(3) الأكبر كصفة لا موضوعية لها وإنما هي على سبيل الإشارة والتعريف، فكون الشخص كبير السن أو أول الأولاد لا يؤهله بالضرورة للإمامة، فقد يكون الأصغر هو المنتخب والمنتجب في علم الله، وقد أشرنا إلى هذا المعنى في كتابنا عن الإمام السجاد: سيد العابدين.
وإنما قال الإمام الهادي هذا تعريفًا بالإمام العسكري عليه السلام والذي كان الأكبر في تاريخ هذا الكلام وإلا فإن الأكبر من ولده هو السيد محمد المعروف بسبع الدجيل والمدفون في مدينة بلد في العراق، وحين قال الإمام هذا الكلام كان السيد محمد قد توفي (أو قتل كما يرى بعض الباحثين).

(4) المسعودي: إثبات الوصية ص 245: والعرى: جمع عروة وعروة الشيء هو المكان الذي يتمسك به فيه كعروة الإناء، ويلاحظ التعبير عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بالعروة الوثقى باعتبار أن =

وبناء على أن انتخاب الإمام إلهيٌّ وربانيٌّ فلا مدخلية للبشر فيه، حتى الإمام السابق (أو المعصوم) ليس هو الذي ينتخب الإمام الذي بعده، وإنما يخبر عنه ويبشر به وينص عليه، تماما كما هو الحال في الأنبياء، فقد بشر النبي عيسى بمحمد رسول الله، وأخبر عنه إبراهيم الخليل وأشارت إليه الكتب التي كانت عند بني إسرائيل.

فإذا كان المعصومون بمعزل عن الانتخاب والاختيار فما ظنك بسائر الناس؟

2/ **لا شرطية لبسط اليد**: ولأن الانتخاب إلهيٌّ فلا يختلف الحال بين أن يكون على سدة الحكم مبسوط اليد ومسموع الكلمة وبين أن يكون جليس الدار مبعدًا عن مقامه الظاهري (وقد اجتمعا في أمير المؤمنين علي عليه السلام في فترتين مختلفتين من الزمان) بل وحتى لو كان سجينًا في زنزانة، كما حصل للإمام موسى بن جعفر وللإمامين الهادي والعسكري عليهم السلام.

ولمعرفة ذلك بوضوح نقول إن منصب الخليفة مثلًا مرتبط

= العروة لها طرفان: طرف يتعلق مثلًا بالباب أو الجدار والآخر يتعلق به من يريد التمسك، وهم أيضًا هكذا فطرف منهم معلق بالله سبحانه حيث انتخبهم واختارهم، وطرف آخر ترك للناس لكي يتعلقوا ويتمسكوا به.

برغبة الناس أو الفئة المسيطرة، فما دامت هذه قائمة فإن خلافته ثابتة، وأما لو اختل الأمر بحيث انقلب عليه جنوده أو ثار عليه العامة، فلا معنى لكونه خليفة حينها لأن خلافته مرتبطة بهم، ولذلك وجدنا في زمان الإمام العسكري وابيه الهادي عليهما السلام، أنه تم خلع وقتل ستة خلفاء خلال حوالي عشر سنوات!

لكن الإمامة في نظر الشيعة ليست منصبًا مرتبطًا بالناس أو الجهات السياسية أو العسكرية، وإنما هي تعيين الهي وولاء ديني من قبل المؤمنين وطاعة.

3/ **اشتراط العصمة الكاملة**: كون هذا الشخص منتخَبًا من الله تعالى يقتضي أن تكون فيه ولديه ميزات ليست عند غيره، وإلا فلا معنى لتقديمه عليهم إذا كان متساويًا معهم (فضلًا عما لو كان دونهم)، ومن تلك الميزات: أنه معصوم عن الذنب صغيره وكبيره، والخطأ والنسيان.

وقد ذكر علماء الكلام مبررات هذه الميزات والأدلة القائمة عليها، **نظريًّا** فإنه لو لم يكن معصومًا عن كل خطيئة بل حتى عن الغفلة لما صح أن يأمر الله بطاعته على نحو الإطلاق،[1] ولكان

(1) فقد ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[النساء: 59]، أن مقتضى إطلاق الطاعة لأولي الأمر وعدم تقييدها بحال دون حال لا سيما مع اقترانها بطاعة الله =

عامة الناس مأمورين بالإنكار عليه حين يذنب، ولكان بعضهم في تلك الحالة خيرًا منه وأفضل حيث هو مذنب وهم غير مذنبين.. هذا بالإضافة إلى ما أوردوه من الأدلة النقلية على هذا الأمر.

وعمليًّا فإن الأئمة الإثني عشر وطوال ما يقرب من مائتين وخمسين سنة، لم يذكر عنهم ـ حتى مخالفوهم ـ أنهم ارتكبوا ذنبًا صغير أو كبيرًا. مع أن أعداءهم كانوا يسعون لإسقاط موقعهم بين الناس، ولو وجدوا ذنبًا واحدًا أو مخالفة للدين لكان ذلك غنيمة كبرى لأولئك الأعداء.

= وطاعة الرسول يعني أن (أولي الأمر) هنا هم المعصومون، وإلا لو فرض طاعة أناس وكان من الممكن أن يتعمدوا الذنب لفرض طاعة الفاسقين، ولأمروا ربما بمعصية رب العالمين! فلا بد إما أن يقيد الطاعة لو كانت لكل صاحب أمر! أو أن يكون أولو الأمر هؤلاء معصومين فيأمر بطاعتهم مطلقا وفي جميع الحالات.

وقد أشار إليه بعض أعاظم مفسري مدرسة الخلفاء كالفخر الرازي الذي قال في تفسيره مفاتيح الغيب 10/ 113 في تفسير الآية: «انَّ اللَّهَ تَعالى أمَرَ بِطاعَةِ أُولِي الأمْرِ عَلى سَبِيلِ الجَزْمِ في هَذِهِ الآيَةِ، ومَن أمَرَ اللَّهُ بِطاعَتِهِ عَلى سَبِيلِ الجَزْمِ والقَطْعِ لا بُدَّ وأنْ يَكُونَ مَعْصُومًا عَنِ الخَطَأِ، إذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْصُومًا عَنِ الخَطَأِ كانَ بِتَقْدِيرِ إقْدامِهِ عَلى الخَطَأِ يَكُونُ قَدْ أمَرَ اللَّهُ بِمُتابَعَتِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أمْرًا بِفِعْلِ ذَلِكَ الخَطَأِ، والخَطَأُ لِكَوْنِهِ خَطَأً مَنهِيٌّ عَنْهُ، فَهَذا يُفْضِي إلى اجْتِماعِ الأمْرِ والنَّهْيِ في الفِعْلِ الواحِدِ بِالِاعْتِبارِ الواحِدِ، وإنَّهُ مُحالٌ، فَثَبَتَ أنَّ اللَّهَ تَعالى أمَرَ بِطاعَةِ أُولِي الأمْرِ عَلى سَبِيلِ الجَزْمِ، وثَبَتَ أنَّ كُلَّ مَن أمَرَ اللَّهُ بِطاعَتِهِ عَلى سَبِيلِ الجَزْمِ وجَبَ أنْ يَكُونَ مَعْصُومًا عَنِ الخَطَأِ، فَثَبَتَ قَطْعًا أنَّ أُولِي الأمْرِ المَذْكُورِ في هَذِهِ الآيَةِ لا بُدَّ وأنْ يَكُونَ مَعْصُومًا».. ولكنه على أثر تقيده باعتقاداته قال: غير أنّا في زَمانِنا هَذا عاجِزُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ الإمامِ المَعْصُومِ، عاجِزُونَ عَنِ الوُصُولِ إلَيْهِمْ، عاجِزُونَ عَنِ اسْتِفادَةِ الدِّينِ والعِلْمِ مِنهم.. الخ ولو أنه فتح بصيرة قلبه وتذكر حديث الثقلين لاهتدى لمعرفة الإمام المعصوم ووصل إليه!

4/ **أعلم الناس**: ومن تلك الميزات أن يكون أعلم الناس بتعليم الله سبحانه، وهنا فمن لا يؤمن بهذه الجهة فإنه لا يستطيع أن يفهم الكثير من الحوادث والقضايا، فماذا يعني أن يكون الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهو في سن الثانية والعشرين قد عرف كل العلوم التي كانت سائدة آنئذ وأجاب على كل الأسئلة التي وجهت إليه مع اختلافها، وقد تعرضنا لبعضها عند الحديث عن مكاتباته عليه السلام مع أصحابه.

وكذلك والده الإمام الهادي وجده الجواد عليهما السلام وهما قد توليا أمر الإمامة في حدود الثامنة من العمر، وأعجزوا من حاول إعجازهم!

وقد أقرّ منافسوهم من الفقهاء لهم بهذه الميزة، بل لقد أخذ الخلفاء الأمويون والعباسيون[1] ببعض أقوال أئمة أهل البيت حين عجز فقهاؤهم عن تبين وجه الحل للمسائل.

(1) من ذلك ما نقله المؤرخون عن لجوء الخليفة الثاني عمر للإمام علي عليه السلام في أكثر من مورد وقولته المشهورة (لولا علي لهلك عمر) أو (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن) وقضية تحرير النقد من السيطرة الرومية وقد تحدثنا عنه في كتابنا عن الإمام السجاد، وسؤال المعتصم العباسي للفقهاء عنده عن مكان القطع في يد السارق وعدم قناعته بأقوالهم وقبوله قول الإمام الجواد عليه السلام بعدما استدل له من القرآن (وقد ذكرنا ذلك في كتابنا عن الإمام الجواد عليه السلام).. وغير ذلك من الحوادث الكثيرة التي تحتاج لإفراد دراسة عنها.

هذا مع أن أولئك الخلفاء لم يكونوا يحبون أن ينتشر بين الناس تميز الأئمة وتفوقهم العلمي.

ولا يختص هذا بالعلم الديني (بحسب الاصطلاح) وإنما يشمل كافة العلوم.[1] لأن الغرض منه أن يكون ذلك حجة للإنسان لكي يهتدي إلى طريق الله. ويتعرف على كل ما يجهله من خلال هؤلاء. فـ«إن الله احكم وأكرم وأجل واعلم من أن يكون احتج على عباده بحجة ثم يغيّب عنه شيئًا من أمرهم».[2]

لقد ذكرنا في الحديث عن الجانب العلمي للإمام العسكري عليه السلام، ما يرتبط بالعلوم الدينية، وما يرتبط بمعرفة المستقبل وما سيجري من أحداث وكانت تحصل تمامًا كما أخبر عليه السلام. بل كان يخبر عن مضمرات القلوب ونيات الأشخاص، وهذا كله ليس منه شخصيًا وإنما هو بتعليم الله عز وجل.

اتجاهات مخالفة لفكرة الإمامة الإلهية

ومما سبق يعلم أن ما أحدثه بعض المعاصرين من آراء

(1) كان عند الإمام العسكري غلمان بعضهم أتراك وبعضهم صقالبة وبعضهم أحباش ففي ذلك الزمان كان العبيد يباعون في الأماكن وكان الإمام العسكري عليه السلام يكلم غلمانه كل واحد منهم بلغته حتى سأله أحدهم: يا مولاي أين تعلمت هذا؟ قال الإمام: إن الله أحكم من أن يجعل حجة على الخلق ثم لا يكون عنده ما لديهم.

(2) الصفار؛ محمد بن الحسن بن فروخ: بصائر الدرجات ص 142.

واتجاهات في فهم الإمامة، لا ينتمي إلى أصول المذهب الاثني عشري، وإنما هو نوع تمازج وتماهٍ مع ما هو في مدرسة الخلفاء أو بعض الفرق الشيعية غير الإمامية كالزيدية، واستيراد لبعض الأفكار من هناك، لكن بصبغة شيعية، وفي وعاء من الروايات أو الكلمات الموجودة ضمن المدرسة الإمامية، لكنها لا تعبر عن هذه المدرسة، ولا عن الروايات الأساسية.

- فمن ذلك ما ذهب إليه البعض من أن اعتقاد الشيعة في القرنين الأول والثاني كان يرى الأئمة بشرًا عاديين، وإنهم كانوا علماء أبرارًا معروفين بالتقوى والزهد، وكان لهم اجتهادهم في المسائل العلمية والشرعية حالهم في ذلك حال سائر العلماء والفقهاء المعاصرين لهم.
- وأما القول بوجود علم لدني، أو تنصيب إلهي، أو عصمة فإنما أمور نسبها غلاة الشيعة إلى الأئمة، وانتشرت حتى أصبحت مع القرن الخامس هي الوجه الظاهر لاعتقادات الإمامية، وغابت أو تراجعت تلك الصورة، والتي سماها بـ«القراءة المنسية».
- واستشهد لتأييد رأيه بابن قبة الرازي وأبي سهل النوبختي، من علماء الشيعة المعروفين والمشهورين، حيث نقل عنهما

ما يخالف القول بمعرفة الأئمة بالغيب، أو أن يكون علومهم لدنية. وكذلك نقل عن ابن الجنيد الإسكافي الإمامي أيضًا أن قول الأئمة رأي لهم، وهو ليس مصونًا من الخطأ وفسر اختلاف رواياتهم لأجل اختلاف آرائهم.

- كما نقل بعض كلام للشهيد الثاني.. يظهره وكأنه يدل على كلامه.

ونتيجة هذا الكلام هي أن يتم التعامل مع الأئمة لا باعتبارهم منصوبين من الله وإنما باعتبارهم رواة ثقات عن رسول الله فإذا جاؤوا بحديث فلاعتقادنا بصدقهم نأخذ بها لا لأنهم مصدر تشريعي كما كان حال النبي ﷺ، بل هم - في رأي صاحب النظرية - الأفضل رواية لحديث النبي والأعلى فهمًا له. ويرى أن لذلك اتبع الشيعة الإمام عليًّا.

مناقشة سريعة للاتجاهات تلك

1/ وقد ناقش باحثون هذه النظرية ورأوا أنها لا تلتزم المنهج العلمي في البحث وإنما تفترض فكرة مسبقة ثم تحشد ما استطاعت من القرائن التي تستفيد منها، وفي المقابل تغفل إغفالًا تامًّا معالجة الأدلة والقرائن المخالفة لها، فيلاحظ على صاحب النظرية «إغفاله لبعض المعطيات التاريخية

المهمّة حول جذور فكرة الوصية والنصّ في الإمامة وظهورها المبكّر، مع أنها تشكّل قضية محورية في البحث. ولم يُجْرِ الكاتب أيّ مقاربةٍ تاريخية للنصوص الدينية التي تزخر بها مصادر الحديث والتفسير والتاريخ والأدب من تراث المسلمين من مختلف التيارات الفكرية، حول النصّ والوصية والولاية ومرجعية العترة النبوية».[1]

2/ ثم إن ما تعلق به من أقوال لإثبات مدعاه، لا يُثبِت ذلك، فإن ابن الجنيد الاسكافي متوفى في القرن الرابع، فهبْ أنه التزم بهذا الرأي.. فيكون اجتهادًا خاطئًا لم يقبله منه لا من كان في رتبة تلاميذه كالمفيد ولا من كان في رتبة أساتيذه! وليس هذا الرأي غير الصحيح من ابن الجنيد هو الوحيد! على أنه إنما يصحح وجود هذه الفكرة في القرن الرابع بينما صاحب النظرية يتحدث عن أنها كانت هي الشائعة في القرنين الأول والثاني.

وهكذا ما نقله عن الشهيد الثاني، فإنه أغفل كل القرائن المخالفة له وتمسك بجملة مجتزأة في آخر كلام الشهيد، ليست في صدد إثبات أو نفي العصمة أو العلم الخاص.. وإنما في صدد

(1) اللواتي؛ مشتاق موسى: مجلة نصوص معاصرة عدد يونيو 2019 بحث بعنوان: قراءةٌ في فرضيات القراءة المنسيّة.

بيان كفاية الإيمان الإجمالي[1] من عامة الناس بما للأئمة من مراتب سابقة.

ونحن هنا لسنا في صدد مناقشة النظرية نقطة نقطة، فإن ذلك ليس في صلب هدف الكتاب، وهي تحتاج إلى نمط آخر من البحث.[2]

3/ ومن العجب من صاحب النظرية كيف أنه تشبث ببعض الكلمات المروية عن الأئمة عليهم السلام والتي يشعر فيها المتكلم بأنه ليس معصومًا، أو ليس منصوبًا بنصب إلهي، وترك مئات الأحاديث عنهم عليهم السلام المثبتة لهذه المعاني وقد ألف العلماء فيها الكثير من الكتب، فاعتبر هذه الروايات المثبتة مدسوسة على الأصحاب ومفتراة على الأئمة!

وهذا يبين المنهج الانتقائي الذي يقبل الرواية التي تخدم فكرته ويستبعد سواها!

(1) كلام الشهيد «لا ريب يشترط التصديق بكونهم أئمة يهدون بالحق، وبوجوب الانقياد إليهم في أوامرهم ونواهيهم، ولكن أما التصديق بكونهم معصومين مطهّرين من الرجس كما دلّت عليه الأدلة العقلية والنقلية، والتصديق بكونهم منصوصًا عليهم، وأنهم حافظون للشرع، وأنّ علمهم ليس عن رأي واجتهاد، بل عن يقين، هل يعتبر في تحقّق الإيمان؟ فيه وجهان» ثم يقول: «لكن ليس ببعيد الاكتفاء بالأخير، بمعنى التصديق بذلك إجمالًا»

(2) من المناسب أن نشير هنا إلى الدراسة القيمة التي قدمها الأستاذ مشتاق موسى اللواتي ونشرت في مجلة نصوص معاصرة عدد لمن أراد المناقشة التفصيلية.

لقد رأينا في سيرة الأئمة عليهم السلام أنهم كانوا ـ حتى عند أعدائهم ـ يملكون علمًا خاصًا لا يملكه غيرهم[1] وأن هذا العلم لم يأت من طريق اعتيادي[2] أو لغرض عادي، كما أنه لم يكن يدخل في الرأي أو الاجتهاد البشري[3] وإلا لكانوا هم وغيرهم على حد واحد ولما كان هناك ميزة لهم تلزم باتباعهم! ولما كانوا

(1) ما بين أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي يقول عنه يحيى بن سعيد كما في مصنف ابن أبي شيبة 5/ 312: «لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، يَقُولُ: «سَلُونِي» إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»، ويقول من حضره يخطب وهو يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني! فإني لا أسأل عن شيء دون العرش إلا أخبرت عنه» كما في كنز العمال 13/ 165، ويفصل ذلك بالقول كما في ينابيع المودة 3/ 208: «سلوني عن طرق السماء فاني أعلم بها من طرق الأرض، سلوني قبل أن تفقدوني، فان بين جنبي علومًا كثيرة كالبحار الزواخر» إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان كجده يقول كما في تاريخ الإسلام للذهبي 9/ 89: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَإِنَّهُ لا يُحَدِّثُكُمْ بَعْدِي بِمِثْلِ حَدِيثِي.» ويقول عنه أبو حنيفة النعمان وقد «سُئِلَ: مَنْ أَفْقَهُ مَنْ رَأَيْتَ؟ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْقَهُ مِنْ جَعْفَرٍ» إلى الإمام محمد الجواد عليه السلام الذي كان يحتج عليه أعداؤه معارضين إياه بأنه هل يعلم وزن ماء دجلة فيجيبهم بالإيجاب في ذلك، كما كان حواره مع الرخجي المعادي له حيث سأله مستنكرًا إنّ شيعتك تدّعي أنّك تعلم كلّ ماء في دجلة ووزنه؟ وكنّا على شاطئ دجلة.
فقال عليه السلام: يقدر الله تعالى على أن يفوّض علم ذلك إلى بعوضته من خلقه أم لا؟
قلت: نعم! يقدر.
فقال: أنا أكرم على الله تعالى من بعوضته ومن أكثر خلقه!

(2) فمتى درس الإمام الجواد أو الهادي حتى تبوءا منصب الإمامة وهما قبل الثامنة من العمر؟ وتعرضا لمختلف أسئلة التحدي ومحاولات الإسقاط من جهة أعدائهما وبدعم من خلفاء الوقت، فما زادا إلا تألقًا وسموًّا بظهور فضلهما.

(3) يشير إليه ما روي عن الإمام الصادق كما في الكافي 1/ 58 وقد سأله رجل عن مسألة فأجابه فيها، فقال الرجل: أرأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: مَهْ ما أجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسنا من: «أرأيت» في شيء.

مشمولين بحديث التمسك بالثقلين! فإذا كانوا رواة فغيرهم كذلك! وكونهم أصدق أو أوثق نقلًا عن النبي كما قال لا تبرر الإلزام في ذلك بحيث ينتج من (ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا) معادلة (إن تمسكتم بغيرهما ضللتم).

كما تحدثت عن فرض ولايتهم والهية نصبهم والنص عليهم ولزوم اتباع الأمة لهم الروايات الكثيرة[1] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنهم، وكان هذا هو المائز بين شيعتهم وبين غيرهم، وإلا لو كانوا كما ذهب إليه أصحاب تلك النظرية والقراءة المبتسرة لما كان هناك مشكلة بين الخلفاء الحاكمين وبين الأئمة الطاهرين، ولكان حالهم حال سائر علماء المسلمين الذين دعمهم الخلفاء كما دعموا الخلفاء.

(1) فراجع كفاية الأثر للخزاز القمي، وتعددت أشكاله ما بين حديث وخطبة بل جاء حتى في صورة الدعاء المروي عنهم، كما ذكرنا ذلك في كتابنا: سيد العابدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

الإمام العسكري
والمجتمع الشيعي الموازي

من الكثير الذي ورد عن الإمام الحسن العسكري يلفت نظرنا النص التالي الذي يصف بشكل دقيقٍ ومستوعبٍ الوضعَ العام الذي كانت تعيشه الأمة، وأين وصلت في ظل حكومات الجور العباسية، وقبلها الأموية، وعلى طريقة آبائه فقد جاء هذا التوصيف في صورة دعاء من الأدعية، قال عليه السلام:

«اللهمّ وقد شملنا زيغ الفتن واستولت علينا غشوة الحيرة وقارعنا الذّلّ والصّغار وحكم علينا غير المأمونين في دينك وابتزّ أمورنا معادن الأُبُن ممّن عطّل حكمك وسعى في اتلاف عبادك وافساد بلادك.

اللهمّ وقد عاد فينا دولة بعد القسمة وامارتنا غلبة بعد المشورة وعدنا ميراثا بعد الاختيار للامّة فاشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحكم في أبشار المؤمنين أهل الذّمّة ووليَ القيام بأمورهم فاسق كلّ قبيلة فلا ذائد يذودهم عن هلكة ولا

راع ينظر إليهم بعين الرّحمة ولا ذو شفقة يشبع الكبد الحرّى من مسغبة فهم أولو ضرع بدار مضيعة واسراء مسكنة وخلفاء كآبة وذلّة».[1]

وفي هذه الفقرة التي جاءت كما قال السيد ابن طاووس إجابة لطلب أهل قم لما شكوا من موسى بن بغا، فكان يدعو بهذا الدعاء في قنوته ويأمر أهل قم بذلك، إلا أن ذلك لا يعني انحصار الأمر في هذه الحادثة أو الشخص وإنما كان عليه السلام يبيّن في هذا الدعاء حالة الأمة في ظل تلك الخلافة الظالمة.

فهو يرى تلك الخلافة قد شملت بلاد المسلمين بفتن فكرية، تحير فيها الناس فلا يكادون يخرجون من فتنة حتى يدخلوا في أخرى، ولعل ما حدث في فتنة خلق القرآن وما تبعها من آثار ومشاكل، وتعصب الخلفاء ووزرائهم والقضاء وبالتالي كل جهاز الدولة لفئة، حتى إذا جاء خليفة آخر وقاضٍ ثانٍ قلب الأمر فتم التعصب لما كان تهمة في السابق، وأصبح القضاة السابقون بالعقوبة مقضيًّا عليهم. وإذا ساد أصحاب المنهج المجسِّم المشبِّه في العقائد فترة قضوا على أصحاب الاتجاه العقلي، فاستولت على الناس غشوة الحيرة، فلا الأوائل مصيبون ولا التوالي! ومع إبعادهم الأئمة

(1) ابن طاووس؛ السيد علي: مهج الدعوات ومنهج العبادات ص 63.

المعصومين عن مراكز التوجيه زادت الحيرة عند الناس. وبالطبع عندما يتكلم الإمام عليه السلام بضمير المتكلم (شملنا الزيغ، واستولت علينا الحيرة) لا يقصد نفسه المباركة فإنه من الذين نصبوا لإخراج الناس من الزيغ والحيرة فكيف يكون فيها؟ وإنما هو يقصد (نحن المسلمين) حيث يقع هؤلاء تحت توجيه الخلافة وأبواقها.

والذي يقود هذه العملية والحاكمون فيها هم «وحكم غير المأمونين في دينك»، والذين لم يأتوا بوصية إلهية ولا رضى شعبي، بل ابتزّ هؤلاء الأمور مع كونهم (معادن الأُبُن) ومستودعات الشذوذ، والناظر إلى أفعالهم وما نقل التاريخ من ذلك وهو قليل من كثير، يتنبه إلى أي مقدار تم تعطيل أحكام الله وإفساد عباده!

ونتج عن ذلك أن صار مال المسلمين دولة بين أعوان الخليفة بعدما كانت قسمته بالحكم الشرعي بين المسلمين وصارت الإمرة بعد المشورة غلَبَة بعد المشورة، «فاشتريت الملاهي والمعازف[1] بسهم اليتيم والأرملة وحكم في أبشار المؤمنين أهل الذّمّة ووليّ القيام بأمورهم فاسق كلّ قبيلة».

(1) في كتابه بين الخلفاء والخلعاء نقل المنجد صورًا كثيرة من هذا عن الخلفاء العباسيين، فقال في ص 112 «وكان الهادي (العباسي) يتناول المسكر ويلعب ويركب حمارًا فارهًا ولا يقيم للخلافة أبهة وكان يأمر للمغني بالمال الخطير الجزيل، غنّاه إبراهيم الموصلي يومًا فقال للقيم على الخزانة أدخله بيت المال فليأخذ منه ما شاء!».

وإذا كان عامة المجتمع المسلم قد منع من التواصل مع الأئمة عليهم السلام، وغُيبت توجيهات الأئمة عن ذلك المجتمع، فإن المجتمع الشيعي المؤمن بولاية أئمة الهدى وإمامتهم حافظ على ذلك التواصل واعتمد كلماتهم عليهم السلام مصابيح هدى واتخذهم سفن نجاة، وتحمل في سبيل ذلك ما تحمل.

من هنا فقد أنشأ الأئمة عليهم السلام ما يسمى في التعبير الحديث بـ«المجتمع الموازي» ويعني ذلك أن فئة من الناس ربما تعيش في وسط مجموعة أكبر منها بكثير، ولكن أفراد هذا المجتمع الموازي يمتلكون فلسفة في الحياة متميزة عن ذلك المجتمع الكبير، ولديه منهاج عبادي ومعاملاتي لا يتطابق مئة بالمئة مع الاتجاه الرسمي الحاكم، وهو وإن عاش (فيه) إلا أنه لا يعيش (معه).[1] وربما أطلق بعض المؤلفين على ذلك تعبير «الجماعة الصالحة» أو «الفئة الرسالية» وأظن أن هذه التعابير تُشعر بانتمائها للحالة الحركية من جهة كما تشعر بالقلة من جهة أخرى، بينما نحن نتحدث عن عامة المجتمع المنتمي لأهل البيت عليهم السلام بغض النظر عن كونهم ضمن مشروع عمل سياسي أو لا؟

(1) النجفي؛ الشيخ هادي موسوعة: أحاديث أهل البيت عليهم السلام 10/ 172 عن أمير المؤمنين عليه السلام «خالطوا الناس بألسنتكم وأبدانكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم» وروي عنه أيضًا «كن في الناس ولا تكن معهم» وربما فسرت آية ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[القصص: 20]، ضمن هذا السياق، بل وكثير من الأحاديث المشيرة إلى تحبيذ العزلة والانفراد.

وحاصل هذه الفكرة أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بنوا لشيعتهم مجتمعًا خاصًا بهم يعيش في داخل المجتمع الإسلامي ولكنه ليس ذائبًا فيه ولا مواجهًا له، لا هو محارب لذلك المجتمع ولا هو منساق معه.

ويظهر أن هذا الطريق هو سبيل المؤمنين تاريخيًّا فقد ورد في تفسير آية ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ما يفيد هذا المعنى.

كما أن فرض الهجرة إلى المدينة في أول أمر الإسلام على المسلمين كانت لهذا الغرض، حتى إذا استقوى الدين انقطعت الهجرة (الفيزيولوجية) وبقيت هجرة المعاصي وأهلها.

ولم تبدأ القضية من أيام الإمام العسكري وإنما كان تتويجها وتمامها في عصره عليه السلام، ذلك أنه وخصوصًا بعدما استشهد الإمام الحسين عليه السلام سنة 61هـ كان أمام شيعة أهل البيت عليهم السلام أحد ثلاثة طرق:

الطريق الأول: أن يذوب مجتمعهم في المجتمع العام؛ بمعنى أن يكون فقههم هو الفقه الرسمي العام، وأن تكون عباداتهم على طبق ما يقوم به حكّام المسلمين في ذلك الوقت ـ بنو أمية ومن بعدهم بنو العباس ـ وكذلك تصبح عقائدهم وتشريعاتهم

(1) يونس: 87.

جزءًا من السائد في المجتمع العام، فما يفتي به القاضي الرسمي يلتزمون به، وما يعتقده فقهاء السلطان يكون عقيدتهم! بل وحتى في إدارتهم الداخلية، ويكون حالهم في ذلك حال سائر المذاهب، ويكون أئمتهم كسائر العلماء والفقهاء الذين تبعوا السلطان أو عينوا من قِبله.

وهذا بالطبع غير ممكن لأن أئمة أهل البيت عليهم السلام يرون ما عليه الحاكمون ضلالًا وانحرافًا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الدين الحقيقي والهدى الرباني هو عند آل محمد[1] فكيف يترك الأئمة أتباعهم ليذهبوا وراء الضلال بينما الحق عندهم؟

الطريق الثاني: أن يواجه شيعة أهل البيت عليهم السلام بقيادة أئمتهم كل ما كان من خطأ في المجتمع المسلم جهارًا نهارًا، فإذا صرح خطيب الجمعة بفكرة خاطئة عارضوه علانية، أو حكم القاضي بحكم غير عادل واجهوه! وإذا تصرف الحاكم في مال المسلمين بغير ما هو الحق خالفوه! وباختصار أن يتصدوا لكل الأخطاء الناتجة من القيادة الباطلة للخلافة.

(1) أشار له الإمام جعفر الصادق بقوله كما في الكافي ـ دار الحديث ـ 1/ 156: «قَدْ وَلَدَنِي رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم وأَنَا أَعْلَمُ كِتَابَ اللَّه وفِيه بَدْءُ الْخَلْقِ ومَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْم الْقِيَامَةِ وفِيه خَبَرُ السَّمَاءِ وخَبَرُ الأَرْضِ وخَبَرُ الْجَنَّةِ وخَبَرُ النَّارِ وخَبَرُ مَا كَانَ وخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ أَعْلَمُ ذَلِكَ كَمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي إِنَّ اللَّه يَقُولُ فِيه تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ».

وهنا من الممكن أن تتحول حالة الشيعة إلى حالة اصطدام دائم وحرب مستمرة مع الجهة الحاكمة، وأعوانها بل ربما مع عامة المجتمع المسلم الذي يرى شرعية الخلافة القائمة ويصحح أعمالها.

ولا ريب أن هذا ليس في مصلحة الدين ولا الشيعة! ومن الصعب على مجتمع أن يعيش حالة الصراع والحرب مع السلطة السياسية بل ومع المجتمع الكبير الذي يعيش في داخله.

الطريق الثالث: أن يوجد مجتمع آخر إلى جانب ذلك المجتمع العام، يكون تحت قيادة أهل البيت عليهم السلام له فكره الخاص، ويلتزم بالنظام الديني الذي يقرره الأئمة عليهم السلام، بل وله دورته المالية الاقتصادية، وله نظامه القضائي، الذي قد يتمايز في بعض أحكامه عن النظام العام المخالف لفتاوى وأحكام الأئمة عليهم السلام، وهذا المجتمع بأفراده هو في داخل المجتمع العام يتعايش معه، فلا يعاديه ولا يحاربه، يكون فيه ولا يكون معه، فيه وجودًا ولكن ليس معه في آرائه الخاطئة.

وكما قلنا فإن هذا الأمر كان قد بدأ به الأئمة الأوائل لكن كان أعلى مستويات هذا المجتمع في زمان الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقمة هذا النتاج كانت على يده لذلك أصبح من

السهل بالنسبة لهذا المجتمع أن يبقى وتستمر مسيرته حتى إذا غاب إمامه كما حصل في إمامة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

فهذا المجتمع لم يحصل فيه انهيار عندما غاب الإمام ذلك أنه قد تم التخطيط لعلاقاته، كما تم بلورة ونشر أفكاره بين أتباعه، وتكرست الأساليب اللازمة في التعامل مع الآخرين وفيما بين أفراد هذا المجتمع.

1/ القيادة الإلهية محور المجتمع الشيعي:

بينما سار المجتمع المسلم العام على أساس أن من يتسنم الخلافة فهو الإمام المطاع، بأيِّ نحوٍ كان صعوده فيها، وبأي مقدار كان ابتعاده عن مؤهلاتها، كان المجتمع الشيعي قد حسم خياره في القيادة على أساس ولاية الله تعالى ثم رسوله ثم الأئمة الإثني عشر المعصومين، فهؤلاء هم ولاة الأمر الذين تجب على الناس طاعتهم المطلقة، في أمور الدنيا والدين، ومنهم تُتَلقى أحكام الشريعة، وأصول العقيدة. وبالتالي فقد كان المؤمن الشيعي يعرف قيادته الإلهية ولا يموت من غير ولاية لإمام العدل! سواء كان هذا الإمام حاكمًا ظاهريًّا بالإضافة إلى إمامته الإلهية كعلي أمير المؤمنين أو كان مسجونًا بيد الحاكم الظاهري (الأموي أو العباسي).

وقد تم تركيز معرفة هذه القيادة الإلهية وتكريس الولاء لها والارتباط بها وتكرار الصلاة عليها ومن ذلك ما جاء عن الإمام العسكري عليه السلام في الصلوات المعروفة.[1]

2/ المنظومة العقدية والتشريعية الخاصة:

تميز المذهب الشيعي بوجود منظومة خاصة في العقائد وأخرى في الأحكام الشرعية، ويظهر الفرق بين هذا المذهب وسائر المذاهب في الأولى واضحا كما هو في الثانية، فإن معرفة الله سبحانه وصفاته وأسماءه عند أئمة الهدى قادة شيعة أهل البيت تختلف مثلاً عما يتبناه أتباع مدرسة الخلفاء ولا سيما أهل الحديث منهم والسلفيون بشكل خاص. بل وكذلك معرفة النبي المصطفى ودائرة شؤونه ومقاماته، وأوضح من الجميع اعتقاداتهم في إمامة الأئمة الاثني عشر وعصمتهم ولزوم اتباعهم.[2]

وكذلك الحال في تفاصيل الأحكام الفقهية (سواء في العبادات أو المعاملات) وذلك راجع إلى طرق الاستدلال

(1) يأتي ذكر هذه الصلوات لاحقا إن شاء الله.

(2) لمعرفة وجوه الفرق والاستدلال عليها يراجع كتاب معالم المدرستين للمرحوم السيد مرتضى العسكري.

والاستنباط التي يتبعها الفريقان؛ ففيما يعتقد الإمامية أن الأئمة الإثني عشر هم امتداد لرسول الله في علمه ومعرفتهم بتفاصيل الدين والشريعة مرتبطة بعلمه، فلا يوجد لديهم بالتالي شُحٌّ أو نقصٌ في النص الشرعي إذ أن الأئمة الذين استمر وجودهم إلى زمان الغيبة الصغرى نحو قرنين ونصف بعد النبي قد ألقوا إلى أصحابهم عشرات الألوف من الأحاديث والروايات التي وضحت معالم الدين.. بينما لم يتيسر ذلك لمدرسة الخلفاء فاضطروا إلى الاستفادة من مناهج أخرى بعيدة عن النص الشرعي.

وكان من الطبيعي أن تختلف النتائج التي يتوصل إليها الفريقان، بعدما اختلفت المقدمات.

3/ المرجعية والنظام القضائي الخاص:

في اتجاهين متوازيين وجه أئمة الهدى أتباعهم لأن يكون قائدهم المباشر في زمان الغيبة، مع غيبة إمامهم الظاهرية، صاحب صفات خاصة، وجاء ذلك في عدد من الأحاديث ؛ منها ما عن الإمام العسكري عليه السلام «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظًا لدينه مخالفًا على هواه، مطيعًا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم، فان من

ركب من القبايح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئًا ولا كرامة».

وفي هذا النص فُرض في القائد الذي يرجع إليه الناس (مرجعهم في أمور دينهم) أن يكون فقيهًا والفقاهة هي أعلى مراتب العلم التخصصي بالأحكام، وأيضًا أن يكون صائنًا لنفسه عن الانزلاق في الرغبات الدنيوية وأن يكون همه الأكبر الحفاظ على الدين، وأن يكون مخالفًا لما تهواه نفسه، ويجمع ذلك كله أن يكون في طاعة مولاه الحقيقي وخالقه، بل ومولاه الاعتباري وإمام زمانه المهدي.

إذن: على مستوى القيادة المطلقة يمتلك هذا المجتمع أشخاصًا إلهيين، وأئمة منصوبين من خالقهم، وعلى مستوى القيادة المباشرة يمتلك (مراجع) يحملون صفات استثنائية عيّنها وحدّدها أولئك الأئمة الإلهيون.

وحيث أن النظام القضائي يتدخل في حياة الناس بشكل مباشر وواسع فقد رفض هذا المجتمع النظام القضائي الباطل الذي لا يلتزم بأحكام أئمة الهدى كما في الحديث عن الإمام العسكري وهو أيضًا مروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِيَّاكُمْ أَنْ يُحَاكِمَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِلى أَهْلِ الْجَوْرِ، وَلكِنِ انْظُرُوا إِلى رَجُلٍ مِنْكُمْ يَعْلَمُ شَيْئًا

مِنْ قَضَائِنَا فَاجْعَلُوهُ بَيْنَكُمْ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ قَاضِيًا، فَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِ»،[1] بل إن «مَنْ تَحَاكَمَ إِلَى الطَّاغُوتِ، فَحَكَمَ لَهُ فَإِنَّمَا يَأْخُذُ سُحْتًا وَإِنْ كَانَ حَقُّهُ ثَابِتًا؛ لِأَنَّهُ أَخَذَ بِحُكْمِ الطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُكْفَرَ بِهِ».[2] نعم فيما لا يمكن استخلاصه من الحقوق إلا بواسطة أولئك القضاة المعينين من سلطة الخلفاء وكان الحق لأتباع الأئمة عليهم السلام جوّزوا لشيعتهم أخذ ذلك، بحيث لا يكون ذلك سنة وطريقة حياة، وإنما باعتباره «من حلول الضرروة»!

أساليب الأئمة لحفظ المجتمع الموازي

قرر أئمة أهل البيت عليهم السلام عددًا من الأساليب وأمروا شيعتهم باتباعها لغرض المحافظة على الوحدة الاجتماعية بين أتباعهم، ولئلّا يقعوا تحت اعتداء غيرهم.

فمن ذلك: استعمال التقية في إظهار العقيدة وممارسة العبادة كلما كانت الظروف المحيطة بهم تقتضي ذلك، والناظر إلى رواياتهم عليهم السلام يرى الموقع المتميز لهذه الفكرة. ويظهر من بعض الروايات أن زمن الإمام العسكري عليه السلام كان أشد من سائر الأزمنة في هذا الجانب حيث اشتد التشنج الطائفي وكان محميًّا من قبل

(1) الكليني: الكافي ـ دار الحديث ـ 14/ 650.

(2) المصدر نفسه ص 651

السلطة العباسية، بل حُسب بعض أركان الخلافة ووزراؤهم على (النواصب) بشكل صريح[1] وحتى كان تفتيش العقائد سائدًا بحيث يسأل الشخص عن اعتقاده[2] في فلان وفلان!

ومن ذلك: نظام الوكالة عنهم عليهم السلام، إذ مع انتشار شيعة أهل البيت في أصقاع الأرض المتباعدة ووجود الإمام في المدينة أو بغداد أو سامراء، كان لا بد أن يتم تعيين وكلاء في باقي المناطق يكون دورهم ـ بعد معرفة الأحكام وتوجهات الإمام ـ أن يبلغوها للشيعة، فكان أن نصب الأئمة عليهم السلام في المناطق الأساسية وكلاء عنهم تابعوهم بالتوجيه والرسائل وهؤلاء بدورهم كانوا لسان الإمام لشيعته.[3]

(1) منهم المتوكل العباسي ووزيره ابن اترجة ومحمد بن الفرج الرخجي، وأبو السمط مروان بن ابي الجنوب.. ويقول المسعودي في مروج الذهب 4/ 61: وقد كان المستعين.. قلَّد سعيد بن حميد ديوان الرسائل.. وكان يتنصب، ويظهر التسنن.. وظهر عنه الانحراف عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعن الطاهرين من ولده.

(2) عطاردي: مسند الإمام العسكري عليه السلام ص 236: «حضرنا عند الحسن بن علي أبي القائم عليه السلام فقال له بعض أصحابه: جاءني رجل من اخواننا الشيعة قد امتحن بجهال العامة، يمتحنونه في الإمامة ويحلفونه، فكيف يصنع حتى يتخلص منهم؟ فقلت له: كيف يقولون؟
قال: يقولون: «أتقول أن فلانًا هو الامام بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله؟ فلا بد لي أن أقول نعم وإلا أثخنوني ضربًا، فإذا قلت: نعم، قالوا لي: قل: واللّه، فقلت لهم: نعم، وأريد به نعَمًا من الأنعام: «الإبل والبقر والغنم».قلت: فإذا قالوا واللّه فقل ولي اي ولي تريد عن أمر كذا، فإنهم لا يميزون وقد سلمت.
فقال لي: فان حققوا عليّ. فقالوا قل: واللّه، وبيّن الهاء.
فقلت: قل واللّه برفع الهاء، فإنه لا يكون يمينًا إذا لم يخفض فذهب ثم رجع إليّ فقال: عرضوا عليّ وحلفوني، فقلت كما لقنتني..»

(3) لتفصيل هذا الأمر في أهميته ومواصفات الوكلاء وخريطة عملهم يراجع كتابنا: نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الامامية.

ومن ذلك: اعتماد الاستقلال الاقتصادي ضمن اطار المجتمع الشيعي، من خلال تطبيق حكم الخمس في أرباح المكاسب، وهو الحكم الذي تم تعويمه مع إبعاد قرابة النبي ﷺ عن دائرة الحكم والقيادة، ثم تم البحث عن مبررات ذلك وحصره في غنائم الحرب وهي بطبيعة الحال سترجع إلى الدولة! فحتى هذه التي حصر فيها لم ينل منها قرابة النبي شيئًا! فأكّد المعصومون على مسألة الخمس وأنها «في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير»[1]، وأن «أيسر ما يدخل به المرء النار أن يمنع اليتيم حقه ونحن اليتيم»[2] وهكذا.[3]

وليحمي الأئمة عليهم السلام هذا الجانب المالي حيث تشتد شهية السلطات لمصادرة مال مخالفيها بأيسر التهم، فقد رأينا أن عددًا كبيرًا من أصحابهم كانوا «صيارفة»، وإن إلقاء نظرة على ألقاب أصحابهم وطبيعة عملهم تفيد هذا المعنى، ولا نعتقد أن هذا كان بعيدًا عن خدمة المجتمع الشيعي وربما رأي الأئمة.

(1) الكليني: الكافي ـ دار الحديث ـ 2/ 729.

(2) الصدوق: من لا يحضره الفقيه 2/ 41: عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «أصلحك الله ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من أكل من مال اليتيم درهمًا ونحن اليتيم».

(3) للتفصيل يمكن مراجعة ما ذكرناه في محاضرة التأسيس النظري لمسألة الخمس على اليوتيوب وموقعنا الإلكتروني.

ومنها: الحفاظ على علاقة متينة ـ اجتماعية ـ مع الناس عامة، سواء كانت تستهدف التأثير فيهم، وصد الدعايات المضادة للتشيع التي تبثها السلطات وأتباعها، أو لحماية هذا الكيان الشيعي من المحاصرة.

وذلك راجع إلى توجيهات الأئمة في هذا الجانب مثل ما روي عن الإمام العسكري عليه السلام فقد قال عليه السلام لشيعته: «أوصيكم بتقوى اللّه والورع في دينكم والاجتهاد للّه وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر وطول السّجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمّد صلى الله عليه وآله وسلم صلّوا في عشائرهم وأشهدُوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم. فإنّ الرّجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدّى الأمانة وحسّن خلقه مع النّاس قيل: هذا شيعيّ فيسرّني ذلك. اتّقوا اللّه وكونوا زينًا ولا تكونوا شينًا، جرّوا إلينا كلّ مودّة وادفعوا عنّا كلّ قبيح، فإنّه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حقّ في كتاب اللّه وقرابة من رسول اللّه وتطهير من اللّه لا يدّعيه أحد غيرنا إلّا كذّاب».[1]

(1) عطاردي: مسند الإمام العسكري عليه السلام ص 282 ونلاحظ أن هذه التوجيهات مروية أيضًا عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهذا ما سنشير إليه في بحث الجانب العلمي حيث سنلاحظ أن كثيرًا مما روي عن الإمام العسكري عليه السلام هو مروي عن آبائه إما بطرق أخرى وإما بطريق الإمام العسكري منحصرًا!.

المجتمع الشيعي الموازي وعلامات مميزة

مع أن المطلوب من شيعة أهل البيت عليهم السلام ما سبق من الممارسات للحفاظ على مبادئهم وصيانة أنفسهم والعيش السليم ضمن مجتمعاتهم الكبيرة إلا أن ذلك لا يعني ذوبانهم وخفاء وجودهم بحيث لا يعرف بعضهم بعضًا في الحالة الاجتماعية العامة، وإنما لديهم من الممارسات والأفعال ما يعرّف بعضهم للبعض الآخر، وهذا ما قد يشير إليه الحديث المعروف عن الإمام العسكري عليه السلام: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى والخمسين، وزيارة الأربعين والتختم باليمين وتعفير الجبين والجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم.»[1]

بما تقدم.. أوصل الإمام العسكري عليه السلام وفي استكمال لبرنامج آبائه الطاهرين، المجتمع الشيعي إلى قمته في الحفاظ على خصوصياته وفي حمايته من الذوبان من جهة، ومن جهة أخرى في الحفاظ عليه ألّا ينفصل عن المجتمع الكبير بحيث يتحول إلى فئة مارقة، وجماعة منفصلة بحيث يسهل القضاء عليها ماديًّا وعسكريًّا.[2]

ونحن نلاحظ أن هذه الهندسة البنائية للمجتمع الشيعي بقيت إلى يومنا هذا، وهذا المجتمع يعيش في خريطتها ويتفيأ ظلالها،

(1) المصدر نفسه ص 138.

(2) قد نلاحظ مثل هذه الحالات في الخوارج تاريخيًّا، وجماعات التكفير والهجرة معاصرًا.

ولا يزال هذا المجتمع بالرغم من كل الضغوط الممارسة ضده لتذويبه أو محاصرته أو حتى إنهائه، لا يزال يمتلك مدرسته الخاصة في العقائد والأحكام الشرعية وشعائره الدينية وتميزه في المجتمع المسلم في كل مكان. بل حصل له من التوسع والقبول في الأمة ما لم يحصل لغيره، وكل ذلك كان بهدوء وسلام.

المفردات التي ذكرنا بعضها؛ من العقيدة الخاصة والنظام التشريعي والقيادة الإلهية المعصومة (والتي تطورت إلى القيادة المرجعية في زماننا الحاضر حيث غيبة الإمام المعصوم) والتحاكم إلى الحكم الشرعي الصحيح بعيدًا عن الأنظمة الوضعية والرسمية غير المتوافقة مع هدي الأئمة، واستعمال أساليب كالتقية وتحقيق الاستقلال الاقتصادي من خلال تطبيق فريضة الخمس في أرباح المكاسب، والمعاشرة الحسنة في المجتمع.

كل هذه لا تزال حاضرة في المجتمع الشيعي ـ بدرجةٍ أو أخرى ـ في كل مكان يعيش فيه الشيعة، وهذا يبين أن هذا البناء بهذه الطريقة والذي بلغ مداه أيام الإمام الحسن العسكري عليه السلام كان يراد له أن يستمر على هذا النهج وهذا ما حصل.

سلام على الحسن العسكري مهندس بناء المجتمع الموازي الشيعي.

الجانب العلمي
في حياة الإمام العسكري

تعتبر مدة إمامة الحسن العسكري عليه السلام أقصر فترات الإمامة بالنسبة لأزمنة إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، فبينما كانت مدة إمامة بعضهم طويلة كالإمام جعفر الصادق نحو 34 سنة (من 114 إلى 148هـ) ومثلها أو أكثر مدة إمامة ابنه الإمام الكاظم (148 إلى 183هـ) وقريب منهما مدة إمامة الإمام علي الهادي بحدود 34 سنة (من 220 إلى 254هـ) ودونهما مدة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام حيث استمرت نحو 29 سنة (من سنة 11 إلى 40هـ) وبينما كانت مدة الإمامة في حياة آخرين متوسطة مثل إمامة الحسنين عليهما السلام لكل منهما عشر سنوات تقريبًا.

وأما مدة إمامة العسكري عليه السلام فقد كانت نحو ست سنوات (من 254 إلى 260هـ) ومع ذلك حفلت بالكثير من الإنجازات والأعمال التي لم يقتصر تأثيرها على زمانه عليه السلام بل امتد تأثيرها إلى أيامنا هذه حتى ليعتبر عليه السلام مهندس الحياة الاجتماعية للتشيع

وصائغ صورته المعاصرة، والتي كان فيها مكملاً لما سبقه به آباؤه المعصومون عليهم السلام، وقد ذكرنا جانبًا من ذلك في بحث: المجتمع الشيعي الموازي.

ومن مهمات ما اضطلع به الإمام هو توضيح معالم الدين وشرائعه وهي المهمة الأساس المطلوبة من أئمة الهدى عليهم السلام كما أشرنا إلى ذلك مرارًا فيما سبق من حلقات هذه السلسلة. ويعتبر ما أُثر ونُقل عن الإمام عليه السلام شيئًا كثيرًا للغاية بالقياس إلى قصر مدة إمامته الفعلية والتي ذكرنا أنها كانت ست سنوات. مع العلم أن ما نُقل هو ليس كل ما قاله الإمام وأدلى به، فكم ضاع من كتب الحديث والروايات؟ ولكننا هنا سندرس جانبًا مما نقل عنه.

1/ سوف نلاحظ هنا أن قسمًا غير قليل مما نقل عن الإمام العسكري هو مروي عن آبائه الكرام، وهو على أقسام:

فقسم منه: يكون مرويًّا عن إمامٍ سابقٍ وينقله الإمام العسكري، ناسبًا إياه إليه، ولعلّ ذلك لأجل الإشارة إلى أنهم يتوارثون العلم كابرًا عن كابر، وربما يكون تأثير هذا في عامة الناس فضلاً عن الشيعة كبيرًا، فإذا كان المرتكز في ذهن الناس أن الإمام الباقر أو الصادق عليهما السلام بتلك المنزلة العالية من العلم فكأن الإمام يريد أن يقول لهم: أنا وعمري اثنتان وعشرون سنة مثلاً (وهي أوائل

إمامته) أحمل نفس العلم الذي كان لديه، وجوابي هو نفس جوابهم متى ما كان السؤال هو نفس السؤال، ومن ذلك ما «سأله الفهفكي: ما بال المرأة تأخذ سهمًا واحدًا ويأخذ الرّجل سهمين؟

فقال أبو محمّد (العسكري) عليه السلام: إن المرأة ليس عليها جهادٌ ولا نفقةٌ ولا عليها معقلة[1] إنّما ذلك على الرّجال!

فقلت في نفسي: قيل لي: انّ ابن أبي العوجاء سأل أبا عبد اللّه عليه السلام عن هذه المسألة فأجابه بمثل هذا الجواب في رواية لما جعل لها من الصّداق.

فاقبل أبو محمّد عَليَّ، فقال: نعم هذه مسألة ابن أبي العوجاء والجواب منّا واحدٌ إذا كان معنى المسألة واحدًا أجرى لآخرنا ما اجرى لأوّلنا، واوّلنا وآخرنا في العلم والأمر سواء ولرسول اللّه ولأمير المؤمنين فضلهما».[2]

وقسم منه: ما انحصر نقله عن الأئمة السابقين بالإمام العسكري عليه السلام، بحيث ربما لو لم ينقله الإمام عليه السلام عنهم لما وصل إلينا ذلك، وهذا نحو من أنحاء حفظ تراث وروايات آبائه عليهم السلام.

(1) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة 4/ 71: المعقُلة هي: الدية، وسميت الدية عقلاً لأن الإبل التي كانت تؤخذ في الديات كانت تُجمع فتُعقل بفناء المقتول، فسميت الدية عقلًا وإن كانت دراهم ودنانير وقيل سميت عقلًا لأنها تمسك الدم.

(2) الكليني: الكافي ـ دار الحديث ـ 13/ 539.

وقسم ثالث: ما نقله عليه السلام عن آبائه مع أنه مرويٌّ عنهم ومعروف، وهو هنا ليس في مقام الراوي فقط وإنما قد يكون ذلك لأجل التأكيد على النقطة الأولى التي ذكرناها وأيضًا لتكريس ثقافة وعلم معين، يؤدي بصاحبه إلى النجاح الدنيوي والفلاح الأخروي. ومعنى ذلك أنهم يقولون: ليس ما يقوله الإمام السجاد شيئًا استثنائيًّا ولا ما يوجه إليه الإمام الهادي أو العسكري! وإنما هي كلها تخدم خطًّا واحدًا.

وسنعرض إلى بعض تلك الروايات:

أ/ **ما نقله الإمام العسكري عن آبائه عن رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم في باب الاحتجاجات والمناقشات مع اليهود كما نقله الطبرسي في الاحتجاج فقال: «عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: قلت لأبي علي بن محمد عليه السلام هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يناظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجهم؟ قال: بلى مرارًا كثيرة، منها ما حكى الله من قولهم: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۖ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا (*) أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾[1]، ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا

(1) الفرقان: 7 ـ 8.

﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾،[1] وقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا (*) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا (*) أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا (*) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[2] ثم قيل له في آخر ذلك: لو كنت نبيًا كموسى أنزلت علينا كِسَفًا من السماء ونزلت علينا الصاعقة في مسألتنا إليك لأن مسألتنا أشدّ من مسائل قوم موسى لموسى عليه السلام..»[3] ثم نقل صلوات الله عليه محاورات طويلة واحتجاجات مفصلة حصلت بينه وبينهم!

ونلاحظ في هذه المحاورات الطويلة والمفصلة أن الإمام العسكري يرويها عن أبيه الإمام الهادي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما نلاحظ أنها لم تنقل عن غير هذا الطريق بحسب ما تتبعنا ـ وهو تتبع واستقراء ليس تامًّا.

(1) الزخرف: 31.

(2) الإسراء 90 ـ 93

(3) الطبرسي ؛ أحمد بن علي: الاحتجاج 1 / 36.

ب/ وما نقله عليه السلام عن جده أمير المؤمنين عليه السلام في بيان فضل العالم بقوله: «قال علي بن أبي طالب عليه السلام: من كان من شيعتنا عالمًا بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به جاء يوم القيامة على رأسه تاجٌ من نورٍ يضيء لجميع أهل العرصات، وحلة لا تقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي مناد» يا عباد الله هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد».[1]

ونلاحظ فيه نفس ما سبق أيضًا.

ج/ وما نقله عن جده الحسين وباقي الأئمة، فعن الحسين عليه السلام «فضل كافل يتيم آل محمد المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرجه من جهله ويوضح له ما اشتبه عليه على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السهى».[2]

وكذلك عنه عليه السلام: «من كفل لنا يتيمًا قطعته عنا محنتنا باستتارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده وهداه قال الله عزّ

(1) المصدر نفسه ص 17.

(2) المصدر نفسه والصفحة. والسُّهى كما في جمهرة اللغة 2/ 1075: نجم خفي في نجوم بنات نعش، ومنه المثل أريها السهى وتريني القمر.

وجلّ: أيها العبد الكريم المواسي لأخيه: أنا أولى بالكرم منك، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف ألف قصر وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعيم».[1]

د/ ونرى التركيز واضحًا في هذه الأحاديث على دور العالم العارف بطريق أهل البيت، والقائم بمسؤوليته في هداية أتباعهم وإنقاذهم من ظلمة الجهل، فهذا المعنى نفسه نراه في أحاديث الإمام العسكري عن سائر الأئمة فعنه عليه السلام أيضًا ناقلًا عن جده الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: «العالم كمن معه شمعة تضيء للناس، فكل من أبصر بشمعته دعا بخير، كذلك العالم معه شمعة تزيل ظلمة الجهل والحيرة، فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل فهو من عتقائه من النار..»[2].

ويبين الإمام العسكري عن الإمام الصادق أن علماء الشيعة هم في حالة جهاد ورباط على الثغر الأعظم وفي الخط المقدم للجبهة مع أهم أعداء المؤمن وهو ابليس وجنده، وهو في ذلك أفضل من الجهاد العسكري ضد الأعداء الظاهريين، وسبب ذلك

(1) نفس الصفحة والمصدر.

(2) عطاردي: مسند الإمام العسكري عليه السلام ص 63.

أن هؤلاء يدافعون عن الأديان وأولئك عن الأبدان فقد نقل عنه قوله: «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم».

ويشخص الإمام موقع الفقيه الذي ينقذ الأيتام المنقطعين عن أئمتهم، بأنه أشد على ابليس وأعوانه من ألف عابد فإن العابد أقصى همته نفسه وإنقاذها بينما الفقيه يمكن أن ينقذ أمة كاملة، وهو ما رواه عن جده الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فقال: «فقيه واحد ينقذ يتيمًا من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من ألف عابد لأن العابد همه ذات نفسه فقط وهذا همُّه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فلذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عابدة».

كما يبين أن موقع العالم الواعي والمبلغ لا يقتصر على الحياة الدنيوية وإنما بالإضافة إلى ذلك يمتد إلى القيامة فيكون شافعًا لمن علّمهم وأدّبهم، بينما لا يمتلك العابد هذا الموقع، فيروي

الإمام العسكري عن جده الإمام الرضا عليه السلام أنه: «يقال للعابد يوم القيامة: «نعم الرجل كنت همتك ذات نفسك وكفيت مؤنتك فادخل الجنة. ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره وأنقذهم من أعدائهم ووفر عليهم نعم جنان الله تعالى وحصل لهم رضوان الله تعالى، ويقال للفقيه: «يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك»، فيقف فيدخل الجنة معه فئامًا وفئامًا وفئامًا [1] ـ حتى قال عشرًا ـ وهم الذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمن أخذ عنه وعمن أخذ عمن أخذ عنه إلى يوم القيامة، فانظروا كم صرف ما بين المنزلتين» [2].

وينقل عن جده الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام بأن فضل هؤلاء الفقهاء على سائر العباد «كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء».

وهذه المنازل والمقامات التي تحصل للعالم الفقيه لأنه لو لم يكن موجودًا ويمارس مسؤولياته التبليغية لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، وفي هذا ما يجيب على كثير من تشكيكات الخطوط

(1) فئام: جماعة.

(2) الطبرسي: الاحتجاج 1/ 9.

المنحرفة التي تحاول أن تلغي دور علماء الدين، أو تنتقص منه حتى ابتدع بعضهم شعار «الإسلام من دون علماء دين» أو ما يشبه هذا من الأفكار[1]، قال الإمام العسكري ناقلاً عن أبيه علي بن محمد (الهادي) عليهما السلام: لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الدّاعين إليه والدّالين عليه والذّابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحدٌ إلا ارتدّ عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل».[2]

مما روي عنه من الصلوات والزيارات ودلالاتها:

يطالعنا في حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ذكر للصلاة على المعصومين عليهم السلام، ويلفت نظرَنا فيه الأمورُ التالية:

الأول: أن تلك الصلوات بمثابة النص الصريح على إمامة المعصومين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن تخصيص هؤلاء الإثني عشر بالصلاة عليهم من بين مئات أفراد ذرية النبي وآلاف بني هاشم

(1) قد تحدثنا عن بعض هذه الأفكار وأصحابها في سلسلة (مغالطات فكرية) وتوجد على قناتنا في اليوتيوب.

(2) الطبرسي: الاحتجاج 1/ 10

فضلًا عن سائر المسلمين يشير إلى اختصاصهم وتميزهم على كل أولئك. والتصريح فيها بأنهم أئمة كما جاء في ذكر الصلاة على الإمام الحسن «وأشهدُ أنّك الإمام الزّكيّ الهادي المهدي» والإمام الحسين عليه السلام «أشهدُ أنّك والأئمّة من ولدك كلمة التّقوى وباب الهدى والعروة الوثقى والحجّة على أهل الدّنيا» والإمام زين العابدين «الّذي استخلصته لنفسك وجعلت منه ائمّة الهدى الّذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون» وهكذا الإمام الباقر «محمّد بن عليّ باقر العلم وامام الهدى وقائد أهل التّقوى».

وهذه الجهة تنتمي إلى موضوع العقائد، ولها أهميتها الخاصة.

ولذا فمن الغريب أن لا يستشهد بها في باب النصوص على الأئمة المعصومين عليهم السلام مع وضوحها في هذا الجانب وصراحتها في إمامتهم بل وبيان مقاماتهم الشامخة، وهذا ما سنشير إليه في الأمر الثاني.

ولم تُغفل هذه الصلوات جانب المظلومية في حياة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، مظلوميتها في زمانها حيث استُخِف بحقها وظُلمت، وكذلك فيما بعد زمانها حيث قُتل أولادها فيدعو الداعي «اللَّهمّ كُنْ الطّالب لها ممن ظلمها واستخف بحقّها اللهمّ وكن الثّائر لها بدم أولادها».

الثاني: إن هذه الصلوات التي تشمل المعصومين جميعًا (النبي المصطفى وابنته الزهراء والأئمة الاثني عشر عليهم السلام) هي الخط الوسط الصحيح بين تياري الغلو فيهم والتقصير في حقهم، فإنه قد ابتليت شيعة أهل البيت عليهم السلام بالخطين المنحرفين، فكما وجد من يغالي فيهم ويرفعهم إلى درجات الربوبية حصل من يقصر في حقهم ولا يعتبر لهم ميزة على غيرهم، فهلك الفريقان[1] كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام.

وينبغي أن نلفت النظر إلى أن كتب التاريخ والعقائد ضمن المذهب الرسمي، تركز على وجود غلاة في المعصومين، وهو صحيح أنه كان هناك غلوٌّ وغلاة، لكن هذه الكتب أغفلت خط التقصير والذي يمثله الاتجاه الرسمي في مدرسة الخلفاء، بل لقد تفاقم هذا الخط والاتجاه إلى أن وصل إلى خط النصب والبغض. والأدلة عليه أكثر من أن تُحصَى.

فينبغي أن تراجع هذه الصفات بدقة ليعلم المؤمن أنه يتبع أي شخصيات عظيمة وقدوات متميزة.

الثالث: أننا نلحظ أن الإمام العسكري عليه السلام وهو الإمام

(1) خطب الإمام علي عليه السلام: نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح ص 489: هلك فيّ رجلان محب غالٍ ومبغض قالٍ.

والمعصوم ما قبل الأخير من حيث الزمان، لم يغفل ذكر الإمام المهدي بل خصه بالصلاة عليه ودعا الله سبحانه وتعالى له بالنصر والغلبة وسيأتي ذكر ذلك عند ذكر نص الصلوات، كما خص نفسه الشريفة بالسلام! فقد قال الراوي أنه لما: انتهى في الكتابة عنه إلى الصلاة عليه أمسك، فسأله في ذلك فقال: لولا أنه دينٌ أمرنا اللّه أن نفعله ونؤديه إلى أهله لأحببتُ الإمساك ولكنه الدّين، اكتب.. فأكمل الإمام له الصلوات وذكر الصلاة على نفسه الشريفة ثم الصلاة على ابنه المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

الرابع: أن أمره عليه السلام بكتابة هذه الصلوات وتدوينها يهدف فيما يهدف إلى تعليم المؤمنين كيفية الصلاة على المعصومين عليهم السلام والثناء عليهم بما هم أهله، وبيان مراتبهم ومقاماتهم، ونرى أهمية لذلك حيث أن إحدى مشاكل المسلمين والتي لا تزال قائمة هي أنهم لا يعرفون الصلاة على النبي إلا بالطريقة البتراء! وقد أهملوا كيفية تعليمه إياهم للصلاة الإبراهيمية!

نص الصلوات عليهم

كما نقلها شيخ الطائفة الطوسي في مصباح المتهجد:

عن أبي محمّد عبد اللّه بن محمّد العابد قال: سألت مولاي أبا محمد الحسن بن علي عليهما السلام في منزله بسرّ من رأى سنة خمس

وخمسين ومئتين أن يملي عليّ من الصّلاة على النّبي وأوصيائه عليه وعليهم السّلام وأحضرت معي قرطاسًا كبيرًا فأملى عليّ لفظًا من غير كتاب:

(**الصلاة على النبي** صلى الله عليه وآله وسلم) اللهمّ صلّ على محمّد كما حمل وحيك وبلغ رسالاتك وصلّ على محمّد كما أحل حلالك وحرّم حرامك وعلّم كتابك وصلّ على محمّد كما أقام الصّلاة واتى الزّكاة ودعا إلى دينك وصلّ على محمّد كما صدّق بوعدك واشفق من وعيدك وصلّ على محمّد كما غفرت به الذّنوب وسترت به العيوب وفرّجت به الكروب وصلّ على محمّد كما دفعت به الشّقاء وكشفت به الغمّاء وأجبت به الدّعاء ونجّيت به من البلاء.

وصلّ على محمّد كما رحمت به العباد وأحييت به البلاد وقصمت به الجبابرة وأهلكت به الفراعنة وصلّ على محمّد كما أضعفت به الأموال وأحرزت به من الأهوال وكسرت به الأصنام ورحمت به الأنام وصلّ على محمّد كما بعثته بخير الأديان وأعززت به الإيمان وتبّرت به الأوثان وعظّمت به البيت الحرام وصلّ على محمّد وأهل بيته الطّاهرين الأخيار وسلّم تسليمًا.

(**الصلاة على أمير المؤمنين عليه الصلاة والسّلام**) اللَّهمّ صلّ على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أخي نبيّك ووصيّه ووليّه وصفيّه ووزيره ومستودع علمه وموضع سرّه وباب حكمته

والناطق بحجّته والدّاعي إلى شريعته وخليفته في امّته ومفرّج الكرب عن وجهه قاصم الكفرة ومرغم الفجرة الّذي جعلته من نبيّك بمنزلة هارون من موسى.

اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله والعن من نصب له من الأوّلين والآخرين وصلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من أوصياء أنبيائك يا ربّ العالمين.

(**الصلاة على السّيّدة فاطمة** عليها السلام) اللهمّ صلّ على الصّدّيقة فاطمة الزّكيّة حبيبة حبيبك ونبيّك وأمّ احبّائك وأصفيائك والّتي انتجبتها وفضّلتها واخترتها على نساء العالمين اللهمّ كن الطّالب لها ممن ظلمها واستخف بحقّها اللهمّ وكن الثّائر لها بدم أولادها اللهمّ وكما جعلتها أمّ أئمة الهدى وحليلة صاحب اللّواء والكريمة عند الملأ الأعلى.

فصلّ عليها وعلى امّها خديجة الكبرى صلاة تكرم بها وجه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وتقرّ بها أعين ذرّيتهما وابلغهم عنّي في هذه السّاعة أفضل التّحيّة والسّلام.

(**الصلاة على الحسن والحسين** عليهما السلام) اللهمّ صلّ على الحسن والحسين عبديك ووليّيك وابني رسولك وسبطي الرّحمة وسيدي شباب أهل الجنّة أفضل ما صلّيت على أحد من أولاد النّبيّين والمرسلين.

اللهمّ صلّ على الحسن بن سيد الوصيين ووصي أمير المؤمنين عليه السلام. السّلام عليك يا ابن رسول اللّه السّلام عليك يا ابن سيّد الوصيّين أشهدُ انّك يا ابن أمير المؤمنين امين اللّه وابن أمينه عشت مظلومًا ومضيت شهيدًا وأشهدُ أنّك الإمام الزّكيّ الهادي المهدي اللَّهمّ صلّ عليه وبلّغ روحه وجسده عنّي في هذه السّاعة أفضل التحيّة والسّلام.

اللَّهمّ صلّ على الحسين بن عليّ المظلوم الشّهيد قتيل الكفرة وطريح الفجرة السّلام عليك يا أبا عبد اللّه السّلام عليك يا ابن رسول اللّه السّلام عليك يا ابن أمير المؤمنين أشهدُ مُوقنًا انّك امين اللّه وابن أمينه قتلت مظلومًا ومضيت شهيدًا وأشهدُ انّ اللّه تعالى الطّالب بثارك ومنجز ما وعدك من النّصر والتأييد في هلاك عدوك واظهار دعوتك.

وأشهدُ انّك وفيت بعهد اللّه وجاهدت في سبيل اللّه وعبدت اللّه مخلصًا حتّى اتاك اليقين لعن اللّه أمّة قتلتك ولعن اللّه أمّة خذلتك ولعن اللّه أمّة ألّبت عليك وأبرأ إلى اللّه تعالى ممّن أكذبك واستخفّ بحقّك واستحلّ دمك بابي أنت وامّي يا أبا عبد اللّه لعن اللّه قاتلك ولعن اللّه خاذلك ولعن اللّه من سمع واعيتك فلم يجبك ولم ينصرك ولعن اللّه من سبى نساءك إنّا إلى اللّه منهم بريء وممن والاهم ومالأهم وأعانهم عليه.

أشهدُ أنّك والأئمّة من ولدك كلمة التّقوى وباب الهدى والعروة الوثقى والحجّة على أهل الدّنيا وأشهدُ انّي بكم مؤمن وبمنزلتكم موقن ولكم تابع بذات نفسي وشرايع ديني وخواتيم عملي ومنقلبي في دنياي وآخرتي.

(**الصلاة على عليّ بن الحسين** عليه السلام) اللهمّ صلّ على عليّ بن الحسين سيّد العابدين الّذي استخلصته لنفسك وجعلت منه ائمّة الهدى الّذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون اخترته لنفسك وطهّرته من الرّجس واصطفيته وجعلته هاديًا مهديًّا اللهمّ فصلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من ذرية أنبيائك حتّى يبلغ به ما تقرّ به عينه في الدّنيا والآخرة انّك عزيز كريم.

(**الصلاة على محمّد بن علي** عليهما السلام) اللهم صلّ على محمّد بن عليّ باقر العلم وامام الهدى وقائد أهل التّقوى والمنتجب من عبادك اللهمّ وكما جعلته علَمًا لعبادك ومنارًا لبلادك ومستودعًا لحكمتك ومترجمًا لوحيك وأمرت بطاعته وحذّرت من معصيته فصلّ عليه يا ربّ أفضل ما صلّيت على أحد من ذرّيّة أنبيائك وأصفيائك ورسلك وامنائك يا ربّ العالمين.

(**الصلاة على جعفر بن محمّد** عليهما السلام) اللهم صلّ على جعفر بن محمّد الصّادق خازن العلم الدّاعي إليك بالحقّ النّور المبين

اللهمّ وكما جعلته معدن كلامك ووحيك وخازن علمك ولسان توحيدك ووليّ امرك ومستحفظ دينك فصلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من أصفيائك وحججك انّك حميد مجيد.

(**الصلاة على موسى بن جعفر** عليهما السلام) اللهم صلّ على الأمين المؤتمن موسى بن جعفر البرّ الوفيّ الطاهر الزّكي النّور المبين المجتهد المحتسب الصّابر على الأذى فيك اللهمّ وكما بلّغ عن آبائه ما استودع من امرك ونهيك وحمل على المحجّة وكابد أهل الغرّة والشّدّة فيما كان يلقى من جهّال قومه ربّ فصلّ عليه أفضل وأكمل ما صلّيت على أحد ممّن أطاعك ونصح لعبادك انّك غفور رحيم.

(**الصلاة على علي بن موسى** عليهما السلام) اللهمّ صلّ على عليّ بن موسى الّذي ارتضيته ورضيت به من شئت من خلقك اللهمّ وكما جعلته حجّة على خلقك وقائمًا بأمرك وناصرًا لدينك وشاهدًا على عبادك وكما نصح لهم في السّرّ والعلانية ودعا إلى سبيلك بالحكمة والموعظة الحسنة فصلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من أوليائك وخيرتك من خلقك انّك جواد كريم.

(**الصلاة على محمد بن علي بن موسى** عليهما السلام) اللهمّ صلّ على محمّد بن عليّ بن موسى التّقيّ ونور التّقى ومعدن الهدى وفرع

الأزكياء وخليفة الأوصياء وأمينك على وحيك اللهمّ وكما هديت به من الضّلالة واستنقذت به من الحيرة وأرشدت به من اهتدى وزكيت به من تزكى فصلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من أوليائك وبقيّة أوليائك انّك عزيز حكيم.

(**الصلاة على عليّ بن محمد**عليهما السلام) اللهم صلّ على عليّ بن محمّد وصيّ الأوصياء وامام الأتقياء وخلف أئمة الدّين والحجّة على الخلائق أجمعين اللهمّ كما جعلته نورًا يستضيء به المؤمنون فبشّر بالجزيل من ثوابك وانذر بالأليم من عقابك وحذّر بأسك وذكر بأيّامك وأحل حلالك وحرّم حرامك وبيّن شرائعك وفرائضك وحضّ على عبادتك وامر بطاعتك ونهى عن معصيتك فصلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من أوليائك وذرّيّة أنبيائك يا إله العالمين.

قال أبو محمّد اليمني: فلمّا انتهيت إلى الصّلاة عليه امسك فقلت له في ذلك فقال:

لولا انه دينٌ أمرنا اللّه ان نفعله ونؤديه إلى أهله لأحببتُ الإمساك ولكنه الدّين، اكتب.

(**الصلاة على الحسن بن عليّ بن محمّد**عليهما السلام) اللهمّ صلّ على الحسن بن عليّ بن محمّد البرّ التّقيّ الصّادق الوفيّ النّور المضيء

خازن علمك والمذكّر بتوحيدك وولي امرك وخلف ائمّة الدّين الهداة الرّاشدين والحجّة على أهل الدّنيا فصل عليه يا ربّ أفضل ما صلّيت على أحد من أصفيائك وحججك وأولاد رسلك يا إله العالمين.

(الصلاة على ولي الأمر المنتظر عليه وعلى آبائه السّلام) اللهمّ صلّ على وليّك وابن أوليائك الّذين فرضت طاعتهم وأوجبت حقهم وأذهبت عنهم الرّجس وطهّرتهم تطهيرًا اللهمّ انصره وانتصر به لدينك وانصر به أولياءك وأولياءه وشيعته وأنصاره واجعلنا منهم.

اللهمّ أعذه من شرّ كلّ باغ وطاغ ومن شرّ جميع خلقك واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله واحرسه وامنعه ان يوصل إليه بسوء واحفظ فيه رسولك وال رسولك واظهر به العدل وايّده بالنّصر وانصر ناصريه واخذل خاذليه، واقصم به جبابرة الكفر واقتل به الكفّار والمنافقين وجميع الملحدين حيث كانوا من مشارق الأرض ومغاربها وبرّها وبحرها واملأ به الأرض عدلًا واظهر به دين نبيّك عليه وآله السّلام واجعلني اللهمّ من أنصاره وأعوانه واتباعه وشيعته وأرني في آل محمّد ما يأملون وفي عدوّهم ما يحذرون إله الحقّ آمين». [1]

(1) الطوسي؛ محمد بن الحسن: مصباح المتهجد 414.

دلالات زيارة الإمام الحسين عليه السلام في مولده:

قال الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي رضي الله عنه: خرج إلى القاسم بن العلاء الهمداني وكيل أبي محمّد عليه السلام انّ مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان فصمه فيهما وادع فيه بهذا الدّعاء:

«اللّهمّ انّي أسألك بحقّ المولود في هذا اليوم الموعود بشهادته قبل استهلاله وولادته بكته السماء ومن فيها والأرض ومن عليها ولمّا يطأ لابتيها قتيل العبرة وسيّد الأسرة الممدود بالنصرة يوم الكرة المعوّض من قتله أنّ الأئمّة من نسله والشّفاء في تربته والفوز معه في أوبته والأوصياء من عترته بعد قائمهم وغيبته حتى يدركوا الأوتار ويثأروا الثار ويرضوا الجبار ويكونوا خير أنصار صلى الله عليهم مع اختلاف الليل والنهار، اللهم فبحقهم إليك أتوسل وأسأل سؤال مقترف معترف مسيء إلى نفسه مما فرط في يومه وأمسه، يسألك العصمة إلى محل رمسه، اللهم فصل على محمد وعترته واحشرنا في زمرته، وبوئنا معه دار الكرامة ومحل الإقامة.

اللهم وكما أكرمتنا بمعرفته فأكرمنا بزلفته وارزقنا مرافقته وسابقته واجعلنا ممن يسلم لأمره ويكثر الصلاة عليه عند ذكره وعلى جميع أوصيائه وأهل أصفيائه الممدودين منك بالعدد

الاثني عشر النجوم الزهر والحجج على جميع البشر، اللهم وهَبْ لنا في هذا اليوم خير موهبة وأنجح لنا فيه كل طلبة كما وهبت الحسين لمحمد جده وعاذ فطرس بمهده فنحن عائذون بقبره من بعده نشهد تربته وننتظر أوبته آمين رب العالمين».[1]

ونلاحظ في هذه الزيارة عدة أمور:

1/ أنها جاءت بصيغة الزيارة مع أنه كان يكفي الإخبار عن استحباب صوم يوم الثالث من شعبان باعتباره يوم ولادة الإمام الحسين عليه السلام، وربما كان يكتفي السائل ـ لو كان ـ بذلك، لكنه ضمّن الجواب زيارة للإمام احتوت على معارف كثيرة في موضوع الإمام الحسين عليه السلام.

2/ كان من تلك المعارف أن التخطيط الإلهي لشهادة الإمام الحسين عليه السلام، وكونه موعودًا بها كان قبل ولادته. مثلما هي حقيقة بكاء السماوات ومن فيها، والأرض ومن عليها، وينبغي التفكير في هذا المعنى، فقد يكون واضحا بكاء من في السماوات من الملائكة ـ بل والأنبياء الموجودين هناك، وهكذا بكاء من على الأرض من بني البشر بل والجن. ولكن

(1) المصدر نفسه ص 826

ماذا يعني بكاء السماوات نفسها وبكاء الأرض نفسها، خاصة وأن النص قد عَطَف (من فيها) على السماوات، وعطف (من عليها) على الأرض، مما يفيد التعدد والمغايرة. وما هي طبيعة ذلك البكاء السماوي والأرضي؟

3/ أكّدت الزيارة على ما جاء في روايات أخر من أن الله سبحانه وتعالى عوّض الحسين من قتله بأن جعل الأئمة من نسله والشفاء في تربته، كما تعرضت لقضية الرجعة والعودة له عليه السلام وللأوصياء من ذريته وجعلت الزيارة هذه العودة بعد غيبة الإمام المهدي عليه السلام جزءا من العطاء الإلهي وعوضا عن الشهادة الدامية للحسين، والغرض من ذلك هو أن يرضوا الله الجبار بالثأر من أئمة الكفر، فانظر وتأمل في القول ؛ بوصف الحسين عليه السلام أنه المعوض عن قتله بخصال منها «الفوز معه في أوبته والأوصياء من عترته بعد قائمهم وغيبته حتى يدركوا الأوتار ويثأروا الثار ويرضوا الجبار».

4/ أكّدت الزيارة على مطالب يطلبها الزائر والداعي في ذلك اليوم من ربه، ويلاحظ أنه قد أُمر بالصيام ثم قراءة هذا الدعاء ـ الزيارة، التي جاء فيها الطلب من الله الذي أكرم الداعي بالمعرفة للإمام (وإلا لما كان يزوره ويتوسل به) أن يكرمه

بالقرب منه وأن يرزقه مرافقته والتسليم لأوامره، وأن يرزقه كثرة الصلاة عليه كلما ذكره.

5/ ثم إن الزائر يعود ليذكر بقضية عقائدية مهمة وهي الأئمة الأوصياء الإثني عشر، ويذكّر بالصلاة عليهم، كما يقرر موضوع التوسل بالمعصوم، والعياذ بقبره، والطلب من الله سبحانه بحقه أن يهب للزائر خير موهبة، وأن يُنجح فيه كل طلبه.

ويذكّر بهبة الله الحسينَ لجده، كما يؤكد على ما جاءت به الروايات من قضية فطرس الملَك.

6/ ما جاء من الزيارة والدعاء صادرًا من الناحية المقدسة، يشير إلى موضوع بركة الأيام والاحتفاء بالمناسبات، فإنه بالرغم من كون الأيام والأزمنة مخلوقات لله تعالى، وأنه بحسب النظر الأولي لا فرق بينها في المنزلة والقيمة، إلا أن انتخاب الله منها أيامًا ولياليَ وأشهرًا خاصة يتبين منه أن ذلك الانتخاب لم يكن بلا مرجح، أو بلا هدف وإن كنا لا نعلم به.

7/ وأخيرًا فإن أصل الرواية كما جاءت عن شيخ الطائفة هكذا: «خرج إلى القاسم بن العلاء الهمداني وكيل أبي محمّد عليه السلام انّ مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان

فصمه فيه وادع فيه بهذا الدّعاء» فهل الجهة التي خرج منها، المقصود بها الإمام العسكري أو الإمام المهدي عليهما السلام؟

لم يكن في الرواية ما ينص صراحة على أيهما عليهما السلام، وأما التعبير بـ«خرج» فإنه يقصد بذلك التوقيع، وليس هناك حديث مباشر ينقله الراوي عن الإمام عليه السلام..

لكن يستفاد من تتبع هذا التركيب (خرج من أو إلى) أنه متكررٌ كثيرًا في التوقيعات الصادرة من الإمام العسكري عليه السلام.[1] وهذه احدى القرائن على كون الزيارة ـ الدعاء صادرًا منه عليه السلام.

وكذلك فإن ورود اسم القاسم بن العلاء الهمداني وتوصيفه بأنه وكيل أبي محمد يعني الحسن العسكري،[2] لعل فيه

(1) في مسند الإمام العسكري، في مواضع متفرقة جاء ما يلي: ص 70/ حدّثنا أحمد بن إسحاق قال: خرج عن أبي محمّد عليه السلام إلى بعض رجاله.
وفي ص 135 / حدّثني موسى بن جعفر بن وهب البغداديّ أنّه خرج من أبي محمّد عليه السلام توقيع: «زعموا أنّهم يريدون قتلي ليقطعوا هذا النسل وقد كذّب اللّه عزّ وجلّ قولهم والحمد للّه».
وفي ص 146/ خرج لإسحاق بن إسماعيل من أبي محمد عليه السلام توقيع: يا إسحاق بن إسماعيل سترنا اللّه وإياك بستره وتولّاك في جميع أمورك بصنعه..
وفي ص 181/ عن رجاء بن يحيى بن سامان الكاتب قال: هذا ممّا خرج من دار صاحبنا وسيدنا أبي محمّد الحسن بن عليّ صاحب العسكر الآخر عليه السلام في سنة خمس وخمسين ومائتين قال: إذا أردت دخول المسجد فقدّم رجلك اليسري قبل اليمنى..
وفي ص 263 / في نقل الرواية عن شيخ الطائفة الطوسي وهي محل الحديث.
وفي ص 281 / خرج في بعض توقيعاته عليه السلام عند اختلاف قوم من شيعته..

(2) ذكره السيد الخوئي في معجم رجال الحديث 15: 36 فقال: من وكلاء الناحية، وممن رأى =

إشارة إلى هذه الجهة. وقد كان القاسم وكيلًا للإمامين الهادي والعسكري وأيضًا للإمام المهدي عليهم السلام، وقد عُمّر كما ورد في شأنه أكثر من مئة سنة.

= الحجة عليه السلام، ووقف على معجزته، ذكره الصدوق في كمال الدين: الجزء 2، الباب 47، في ذكر من شاهد القائم عليه السلام، الحديث 17.

وروى عن محمد بن محمد بن النعمان، والحسين بن عبيد الله، عن محمد بن أحمد الصفواني ـ (رحمه الله) ـ، قال: رأيت القاسم بن العلاء وقد عمر مائة سنة وسبع عشرة سنة، منها ثمانون سنة صحيح العينين، لقي مولانا أبا الحسن، وأبا محمد العسكريين عليهما السلام.. (الحديث).

والرواية صحيحة وهي مشتملة على ما يدل على جلالة القاسم واختصاصه بالإمام عليه السلام، وكونه مورد عنايته.

الإمام العسكري وقضايا القرآن

هل تفسير القرآن هو للإمام العسكري أو لا؟

من الكتب المعروفة في الساحة العلمية الشيعية تفسير للقرآن الكريم ينسب للإمام الحسن العسكري ويعرف بتفسير العسكري، وهو تفسير روائي، يبدأ بذكر روايات عن فضل العلم بتأويل القرآن وآداب تلاوته وكذلك بعض فضائل أهل البيت عليهم السلام ومثالب أعدائهم. ثم يبدأ في تفسير وتأويل سورة الفاتحة ويستمر فيها آية بعد آية حتى ينتهي منها ليبدأ في سورة البقرة وبنفس الترتيب السابق مع ملاحظة أنه متى ما مرت مناسبة ترتبط بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو فيها فضيلة لأهل بيته فإنه يذكرها، ويستمر هكذا إلى آية (282) قوله تعالى (وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا).

وبحسب الترقيم الموجود في الكتاب فإن عدد الأحاديث في هذا التفسير هو 377 حديثاً. وبحسب الفرض فإنها كلها مروية عن الإمام العسكري عليه السلام. وبحسب مقدمة الكتاب فإن قصة روايته عن الإمام تبدأ عندما سيطر الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل

(من نسل الإمام الحسن المجتبى) على طبرستان (شمال غرب إيران وهي منطقة مازندران حاليًّا) وذلك في سنة 250هـ، وكان على مذهب الزيدية، ولتخوفهم منه فقد نزح إلى سامراء بعض الشيعة الإمامية ومنهم والدا راويي التفسير ـ بحسب قول المثبتين ـ والراويان هما: يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن سيار، فلما جاء أبواهما للإمام العسكري طمأنهما بأنهما سيرجعان إلى بلاد طبرستان وأنهما لا خطر عليهما، وأمرهما بأن يبقيا ابنيهما (اللذين سيصبحان راويي التفسير فيما بعد) حتى يتعرفا على علوم آل محمد. وبالفعل فقد تم ذلك، فبقيا مع الإمام نحو سبع سنوات يأخذان عنه ويرويان تفسير القرآن هذا، وقد نقل عنهما ذلك محمد بن القاسم المفسر الاسترآبادي الخطيب.. وهذا كله بحسب مقدمة الكتاب.

ثلاثة مواقف للعلماء تجاه التفسير يمكن أن نلحظها:

1/ مواقف الرافض له ولانتسابه للإمام بل ادعى بعضهم أنه موضوع.

2/ موقف المثبت له والتعامل معه كأحد المصادر المهمة.

3/ الموقف المتوسط بينهما فلا هو يرفضه بالجملة ولا يقبله كذلك، وإنما يعتبر أن فيه الغث والسمين، فما كانت آثار

الصحة ظاهرة عليه وقرائن صدوره من معدن العصمة لائحة فيه قُبِل، وما كان بخلاف ذلك فلا يقبل. وبالتالي يتعامل لا مع الكتاب بالقبول أو الرفض وإنما مع كل رواية فيه بمفردها.

حجج الرافضين والمثبتين

ويحتج الرافضون للكتاب لرأيهم بما يلي:

أولًا: بأن سند الكتاب للإمام عليه السلام غير تام، فإن الراويين له (يوسف بن زياد وعلي بن سيار) لم يوثقا في كتب الرجال، بل هما مجهولان (كما عن السيد الخوئي) وأما الذي نقله عنهما وهو محمد بن القاسم المفسر الاسترابادي فقد وصفه ابن الغضائري بكونه ضعيفًا كذابًا. بينما وصفه السيد الخوئي بأنه مجهول.

وثانيًا: بأن ما جاء في الكتاب من الروايات لا يتناسب مع الإمام عليه السلام، فإن في بعضها من الغلو ما لا يمكن نسبته للإمام عليه السلام، وفي بعضها الآخر ما يتخالف مع حقائق التاريخ الثابتة[1] بل قال الشيخ البلاغي «فيه من مخالفة الكتاب المجيد، ومعلوم التاريخ كما أشار إليه العلامة في الخلاصة وغيره»[2] وتتبع المحقق

(1) كقوله مثلًا فيه: إن المختار قد سُجن في زمن الحجّاج، مع أن الحجّاج إنما تولى على الكوفة بعد مقتل المختار بمدة طويلة.

(2) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص 685.

التستري بعض ما عليه آثار الوضع كما رآه ثم قال: «ما نقلت من الكتاب أنموذج منه ولو أردت الاستقصاء لاحتجت إلى نقل جلّ الكتاب لولا كلّه فإنّ الصحيح فيه في غاية الندرة».[1]

وفي المقابل فإن المثبتين له يقولون:

بأن المفسر الاسترآبادي الراوي له عن راويي التفسير قد اعتمد عليه الصدوق، والصدوق أكثر خبرة من غيره في معرفة الرجال وعبر عن ذلك المجلسي الأول بقوله: «المفسر الأسترآبادي اعتمد عليه الصدوق وكان شيخه. فما ذكره ابن الغضائري باطل»،[2] «وباليقين كان الصدوق أعرف بحالهم من ابن الغضائري الذي لم يوثقه العلماء صراحة، ولم نعرف حاله».[3] ثم ترقى إلى القول: «كل من كان له أقل ارتباط بكلام الأئمة عليهم السلام يجزم بأن التفسير من المعصوم عليه السلام. والصدوق روى هذا التفسير عن محمد، وأوصله إلينا فحول علمائنا من الثقاة المعتمدين، حتى أن المحدثين اعتبروا هذا السند من أعلى الأسانيد».[4]

(1) التستري؛ الشيخ محمد تقي: الأخبار الدخيلة 1/ 212.

(2) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ص 691، خاتمة في الرسالة التي وضعها الشيخ رضا الاستادي عن التفسير.

(3) المصدر نفسه 692.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

وأوسط الأقوال ثالثها، ولا يرد عليه ما يرد على الأول ولا على الثاني.

وقد صنف الشيخ رضا الأستادي رسالة طبعت في آخر كتاب التفسير بيّن فيها بالتفصيل كلمات المثبتين والنافين وهي حرية بالمراجعة لمن أراد التوسع في هذا المبحث.

الفيلسوف الكندي وتناقضات القرآن

مما يذكره المؤلفون في أدوار الإمام العسكري العلمية هو رده كتابًا كاملاً ألّفه الفيلسوف أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، وأصل ذلك كما يظهر هو ما رواه ابن شهرآشوب في المناقب ناقلًا عن «أبي القاسم الكوفي في كتاب التبديل ان إسحاق الكندي[1] كان فيلسوف العراق في زمانه أخذ في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله وأن بعض تلامذته دخل يومًا على الإمام الحسن العسكري فقال له أبو محمد عليه السلام: أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما اخذ فيه من تشاغله القرآن؟

فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه

(1) هكذا ورد في المناقب، والصحيح أن اسمه يعقوب بن إسحاق.

في هذا أوفي غيره، فقال له أبو محمد: أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال: فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل قد حضرتني مسألة أسألك عنها! فإنه يستدعي ذلك منك!

فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها انك ذهبت إليها؟

فإنه سيقول لك: إنه من الجائز لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضعًا لغير معانيه.

فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن القى عليه هذه المسألة فقال له: أعد عليَّ، فأعاد عليه فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغا في النظر فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟ فقال: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك!

فقال: كلّا! ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة فعرفني من أين لك هذا؟

فقال: امرني به أبو محمد فقال: الآن جئت به وما كان ليخرج

مثل هذا إلا من ذلك البيت، ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه».[1]

وعن ابن شهرآشوب نقل هذه المحاورة والمنقبة للإمام عليه السلام من تأخر عنه،[2] وهي حريّة بالنقل فإن موضوعها هو القرآن الكريم وهو معجزة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو كلام رب العالمين الباقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والجواب فيها: جواب دقيق ومسكت! فإنه يسلب من الكندي (بحسب الفرض) سلاحه الأقوى، فإنه إذا أراد أن يبين تناقض آيات القرآن، فلا بد أن يفهم كل آية، ويقيسها إلى آية أخرى فيكتشف النسبة بينهما، وهو ما صنعه بعض من تقدم.

فإذا قال له الإمام ـ كما أمر تلميذه: من يقول إن ما فهمتَه من الآية هو المعنى المراد الحقيقي من قِبل المتكلم؟ فلعله لا يريد هذا المعنى الذي فهمتَه أنت؟ يعني ما فهمتَه أنت ليس بالضرورة هو ما يريده الله سبحانه! وبهذا تبطل استدلالاته على التناقض.

ملاحظات على الرواية المشهورة:

إلا أنه يمكن أن نسجل بعض الملاحظات هنا:

(1) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب 3/ 526.

(2) ويندر أن يكون كتاب في سيرة الإمام العسكري لم يتعرض لهذه القصة.

الملاحظة الأولى: على مصدر القصة إن ابن شهرآشوب (ت 588هـ) قد نقلها عن كتاب التبديل لأبي القاسم الكوفي (ت 352هـ) وأصلها من أبي القاسم هذا الذي وصف في كتب الرجاليين بأوصاف لا تشير إلى ضبطه، لا سيما في أواخر أمره وعمره، فقد قال عنه الشيخ الطوسي «علي بن أحمد الكوفي يكنى أبا القاسم كان إماميًّا مستقيم الطريقة وصنف كتبًا سديدة.. ثم خلط وأظهر مذهب المخمسة[1] وصنف كتبًا في الغلو والتخليط»[2] وقال عنه النجاشي إنه «رجل من أهل الكوفة كان يقول إنه من آل أبي طالب وغلا في آخر أمره وفسد مذهبه وصنف كتبًا كثيرة أكثرها على الفساد».[3]

بالطبع هذا كله لا يعني تكذيب القصة ولا ردها، ولكن يبقى مثار سؤال: أن حادثة من هذا النوع لا يرويها أحد من أصحاب

(1) في هامش اختيار معرفة الرجال 2/ 702: الطوسي، قال المحقق للكتاب: المخمسة: طائفة من الغلاة يقولون بالتخميس، ومعناه عندهم لعنهم الله أن سلمان وأبا ذر والمقداد وعمارًا وعمرو بن أمية الضميري، هم الخمسة الموكلون لمصالح العالم.
وأبو القاسم علي بن أحمد الكوفي المخمس الغالي صنف في ذلك كتابًا وأظهر فيه بدَعًا ومقالات فاسدة.

(2) المصدر نفسه. ونفس هذا الكلام قاله عنه ابن شهرآشوب في كتابه معالم العلماء «من كتبه: أصل الأوصياء، كتاب في الفقه على ترتيب كتاب المزني، ثمّ خلط وأظهر مذهب المخمّسة، وصنّف في الغلوّ والتخليط».

(3) النجاشي: فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ص 265.

الكتب الأربعة ومن هم في طبقتهم، ثم لا تُروى إلا من أبي القاسم الكوفي هذا وبين وفاته ووفاة الإمام العسكري عليه السلام نحو قرن من الزمان! مع ما وصف به من التخليط والغلو والفساد، إضافة لما سيأتي في النقاط التالية.

الملاحظة الثانية: أن أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت 256هـ) المعروف بفيلسوف العرب، والذي كان مقرَّبًا من المأمون والمعتصم وخصوصًا الأول لتوجهاته العقلية، ومضطهدًا من المتوكل ومن خلفه، لنفس الجهة بالإضافة إلى المنافسات والمشاكسات الداخلية، قد ألّف نحو 250 كتابًا ورسالة، في العقليات والطب والنجوم والموسيقى والرياضيات والمنطق والهندسة، لم يؤثر عنه أنه كتب في الإسلاميات، إلا بمقدار ما قالوا «كان الشاغل الذي شغل الكندي في أعماله الفلسفية، هو إيجاد التوافق بين الفلسفة والعلوم الإسلامية الأخرى، وخاصة العلوم الدينية».[1]

ولذلك لم نجد دليلًا واضحًا على ما ذهب إليه العلامة الشيخ السَّنَد في قوله «ألَّف الفيلسوف إسحاق الكندي كتابًا أسماه

(1) وقد نقل الشيخ الكوراني: الإمام الحسن العسكري 144 عن السيد محسن الأمين في الأعيان قوله رحمه الله: ليس في مؤلفاته شيء في الدين، يقصد به مباشرةً. وقد تقدم قول ابن طاووس رحمه الله: «له أحد وثلاثون كتابًا ورسالة في دلالة علوم الفلاسفة على مذهب الإسلام وعلوم النبوة».

(تناقض القرآن) وأحدث في ذلك الوقت نوعًا من الإرباك في العالم الإسلامي ولم يتمكن أحد من ردّه إلّا الإمام العسكري».[1] وخصوصًا في فقرته التالية من أنه أحدث إرباكًا في العالم الإسلامي! والحال أنه على فرض صحة الخبر كان لا يزال تحت التأليف وأنه لما أخبره التلميذ بما قاله الإمام قام إليه ومزقه!

بل يستفاد من بعض الكلمات الواردة في كتب مدرسة الخلفاء إقرار الكندي بأنه لا يستطيع أحد مجاراة القرآن و«إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث، وحلّل تحليلًا عامًا، ثم استثنى استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، لا يقدر أحد أن يأتي بهذا إلا في أجلاد (مجلدات)».[2]

هذا إذا لم نقل أن تلك وهذه الكلمات نسبت إليه رغبة في إسقاطه إما لأنه نسب إلى التشيع ـ كما سيأتي بعد قليل ـ أو لإيغار صدر المتوكل عليه الذي كان يظهر نفسه حاميًا للقرآن والسنة، وكان ذلك من قبل حُسّاده ـ أي الكندي ـ ولا سيما ابني شاكر، كما ذكرت قصصهم في بعض المصادر.

(1) السند؛ الشيخ محمد: الحياة السياسية للإمامين العسكريين عليهما السلام ص 48.

(2) القرطبي: محمد بن احمد: تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن 6/ 32.

الملاحظة الثالثة: أنه ذهب بعض المعاصرين إلى أن أبا يوسف الكندي كان ممن آمن بالإمام العسكري عليه السلام، وعُدّ من الشيعة عمومًا،[1] بل فسروا ما حصل له سواء في أيام حياته من الإيذاء الذي وصل إلى حد الضرب من جهة سلطة الخلافة[2] أو الإقصاء والإهمال إلى حد أنه مات وحيدًا! مع منزلته العلمية الكبيرة، بهذه الجهة، وعزوا ذلك إلى موالاته لأهل البيت!

بل نقلت بعض الروايات ضمن هذا الإطار تشير إلى شيء من الاختصاص كان بينه وبين الإمام العسكري، ومقدار كبير من احترامه للإمام عليه السلام مع أن الكندي كان في سن والد الإمام في حينها بينما كان الإمام العسكري في العشرينات من العمر!

وإذا سلمنا بهذه الفكرة فكيف تتوافق مع القول بأنه كان يؤلف في تناقض القرآن؟

أما ما قالوه في تشيعه، فقد صرح بذلك العلامة الكوراني في كتابه؛ فقد نقل عن «السيد ابن طاووس فقال: وقيل إنه من علماء الشيعة الشيخ الفاضل إسحاق بن يعقوب الكندي، وزاد عليه

(1) الكوراني: الإمام الحسن العسكري عليه السلام ص 134» وكان منسوبًا إلى الزيدية. والزيدية من أصول الشيعة، ينتسبون إلى زيد بن علي بن الحسين».

(2) المصدر نفسه والصفحة: «قال الكندي: لا يفلح الناس وعين تطرف رأت المتوكل! قال: وكان المتوكل أمر بضرب الكندي سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وكانت خمسين سوطًا فضرب».

صاحب الذريعة فقال: من علماء الشيعة العارفين.»[1] وحين نقل عن سبب اضطهاد الكندي في أيام المتوكل وأنه بسبب حساده وما قيل من ميله للاعتزال، أضاف الكوراني قائلًا: «ولكن فاته ـ السيد محسن الأمين ـ أن غضب المتوكل على الكندي كان لأجل اتهامه بالتشيع حيث أخبر أن الكندي تعلم من الإمام الحسن العسكري عليه السلام تفسير القرآن الكريم وأصول الإسلام. ومن الذين تأثروا بكتابة أعدائه المعاصرين له».[2]

كما يمكن أن يستفاد من موقف مذهب السلطة وفقهائها منه ما يشير إلى مذهبه، فإنهم يتحاملون عليه ويتهمونه في دينه ولعل مسألة مناقضة القرآن هي في هذا الإطار، فهذا الذهبي ـ وهو المعروف بتعصبه ـ يقول في سير الأعلام (12 / 337): «كان يقال له فيلسوف العرب، وكان متهمًا في دينه، بخيلًا ساقط المروءة.. همَّ بأن يعمل شيئًا مثل القرآن، فبعد أيام أذعن بالعجز. قال عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان: رأيته في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: ما هو إلا أن رآني فقال: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾![3]

(1) المصدر نفسه ص 133.
(2) المصدر نفسه والصفحة ص 132.
(3) المرسلات: 29.

ولا يوفر هؤلاء سلاحًا.. إن أعوزهم سلاح اليقظة لجأوا إلى المنامات! وإن لم تسعفهم المنامات! جاؤوا بآرائهم فيه!

طرق في التوفيق بين الرواية والمعطيات التاريخية:

وفي المقابل فقد أورد الشيخ الكوراني أدلة وقرائن على إيمانه وتشيعه ص 143، ونقل أيضًا الرواية الشهيرة لابن شهرآشوب في المناقب والتي بدأنا البحث بها، ثم ساق رواية موجودة في الكافي واستفاد منها أن ارتباط الكندي بالإمام العسكري صار بواسطة ذلك التلميذ (الذي علمه الإمام ماذا يقول للكندي). وكأنّ هذا حلٌّ على طريقة (لا يموت الذئب ولا يفنى الغنم) فلا هو رد تلك الرواية (ابن شهرآشوب) ولا هو قبِل ما يقال عن الكندي بل اعتبر هذه الرواية إيذانا بالتحاق الكندي بالإمام وصيرورته من أتباعه.

فقال معلّقًا على الرواية الموجودة في الكافي «يظهر أن ذلك التلميذ رَبَطَ أستاذه الكندي بإمامه العسكري عليه السلام، وأنه بدأ برسائله إلى الإمام عليه السلام، وقد روى منها في الكافي (1 / 95): «عن محمد بن أبي عبد الله، عن علي بن أبي القاسم، عن يعقوب بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله: كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه؟ فوقع عليه السلام: يا أبا يوسف جل سيدي ومولاي،

والمنعم عليَّ وعلى آبائي أن يُرى. قال: وسألته: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه؟ فوقع: إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقلبه من نور عظمته ما أحب».[1]

وما ذكره الشيخ الكوراني هو أحد الطرق؛ بأن يقال: كان الكندي يهم بتأليف كتاب في تناقض القرآن، وعلم الإمام بذلك فوجه إليه جوابًا عبر أحد تلاميذه، ولما رأى الجواب تامًّا ولا سبيل إلى رده، وعلم أنه من معدن النبوة تراجع عن مشروعه، وأتلف الكتاب، وأصبح يراسل الإمام في أموره الدينية.

لكن هذا لا يجيب على بعض الأسئلة مثل كون توجهاته شيعية من البدايات أي زمان المأمون أو ما بعده! وأنه لم يكن له توجه في الكتابة عن الإسلاميات بشكل عام إلا فيما يصنع التوافق بين النظريات العقلية والدينية.. وبعض الأسئلة الأخرى.

الطريق الثاني: وهو ما سلكه أكثر المؤلفين وهو: اعتماد رواية ابن شهر آشوب من دون البحث في موقع الكندي، وهل أن ما جاء فيها ينسجم مع شخصيته وسيرته، وربما يكون ذلك لأجل أن الرواية هي في صدد بيان حماية القرآن ممن يتحداه، والإجابة

(1) الكوراني: الإمام الحسن العسكري عليه السلام ص 147.

على هذه الشبهة، وهي قد تكون سارية مستمرة وليست شبهة مرتبطة بزمان الإمام عليه السلام.

الطريق الثالث: أن يقال بأن هناك تصحيفًا حصل في الاسم وإن كانت أصل الحادثة موجودة، وهذا ما يظهر من د. جعفريان في كتابه حيث اعتبر أن هناك شخصيتين في التاريخ في مرحلة زمنية واحدة وقد حصل الاشتباه لأجل ذلك ؛ الأولى فيلسوف مسيحي تصدى لبث الشبهات حول القرآن وربما يكون منها ما يحكى عن تناقض القرآن واسمه عبد المسيح بن إسحاق الكندي، والآخر هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي وهو فيلسوف مسلم مدحه من تحدث عنه. وقد أيّد رأيه بأن وفاة يعقوب الكندي (الفيلسوف المسلم) كانت في سنة 252هـ قبل إمامة العسكري، قال: «لقد أدى الخلط بين عالمين متعاصرين، ومتحدين في الاسم واللقب إلى أن يعتبر بعض الاشخاص الرواية المذكورة أعلاه تخص الفيلسوف المسلم يعقوب بن إسحاق الكندي.

وهذه النسبة مضافًا إلى أنها لا تنسجم مع عهد إمامة الإمام العسكري عليه السلام حيث إن وفاة الكندي كانت في العام 252هـ، فإنها تواجه اشكالًا مهمًّا هو استبعاد صدور مثل هذا العمل القبيح من قبل فيلسوف مسلم. ومع معرفتنا بوجود عالم مسيحي يحمل

اسم عبد المسيح الكندي معاصر للفيلسوف المعروف بالكندي ندرك ان الرواية المذكورة تخصه».[1]

وهذا الطريق جيد في أنه يحل مشكلة ورود اسم يعقوب بن إسحاق الكندي، ويحيل الأمر الى الخلط في الشخصيات وهو ليس ببعيد خصوصًا أن ناقل الخبر (وهو أبو القاسم الكوفي قد ذُكر بالتخليط وإن كان بمعنى آخر). لكنه لا يحل مشكلة أخرى وهي أنه يظهر من نتيجة الرواية قيام الكندي (أيًّا كان منهما) بتمزيق ما كتبه وتراجعه عن فكرته. والحال أن عبد المسيح الكندي (مع أنّه من الشخصيات المجهولة)[2] بقي على حاله مدافعًا عن المسيحية ومهاجمًا للإسلام.

كما أن ما ذكره من أن وفاة فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندي كانت في 252هـ لا تؤيده الروايات التاريخية وإنما تؤكد أنها كانت في سنة 256هـ وهي تتناسب مع بداية فترة إمامة الإمام العسكري عليه السلام.

(1) جعفريان؛ الشيخ رسول الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام 2/ 200.

(2) سزگين؛ فؤاد: تاريخ التراث العربي 1 ق 4/ 55 قال فيه: عبد المسيح بن إسحاق الكندي وصلت إلينا من هذه الفترة المبكرة رسالة موضوعها جدل في الدين بين عبد المسيح بن إسحاق الكندي (لا نعرف عنه إلا اسمه) وبين صديقه عبد اللّه بن إسماعيل الهاشمي في حضرة الخليفة المأمون. وطلب من الكندي المسيحي في هذا الجدل أن يعتنق الإسلام، ولكن إجابته كانت رفضًا حادًّا. (أقول: هناك دراسات تشكك في مصداقية وجود رسالة متبادلة بين الاثنين وتؤكد أن واضع الرسالة: أصلًا وردًّا هو شخص واحد كان في القرن الرابع).

الطريق الرابع: أن يقال بأن كل البناء هو قائم على رواية ابن شهر آشوب الذي ينقلها عن الكوفي، وبما ذكرنا في مقدمة البحث هذا، للناظر أن يتأمل في ثبوت هذه الرواية التي تعترضها إشكالات سندية ومضمونية.

وإذا فرضنا أنه رد أحدٌ هذه الرواية فلن يتورط في أسئلة عن شخصية الفيلسوف الكندي، وهل كان في اتجاه التشكيك في القرآن والتأليف في تناقضه؟ أو أنه كان مشغولًا بالعلوم الأخرى؟ وسيجد أمر تواصله مع الإمام العسكري على القاعدة ما دام محسوبًا على التشيع، وسيكون تفسير مواقف السلطة الحاده تجاهه بناء على ذلك أمرًا طبيعيًّا.

نظرة في توقيعات الإمام (العلمية)

تكشف التوقيعات والكتب التي كتبها الإمام العسكري عليه السلام عن جانب مهم من حياته المباركة وتوجيهه الديني لأتباعه. ومع أن الواصل إلينا من هذه التوقيعات لا يمثل كل ما صدر منه عليه السلام، إلا أنه مع ذلك يكشف عمّا سبق. وقد أحصى الشيخ الصالحي في كتابه موسوعة كتب الأئمة (125) كتابًا عنونت إلى (77) شخصًا معروفين بأسمائهم كما أورد (30) كتابًا لأشخاصٍ غير معينين، أو لعناوين عامة مثل أهل قم، وأمثال ذلك.

وهذه كلها يفترض أنها كانت في فترة إمامته القصيرة (6 سنوات) والتي تخللها فترات متعددة من الاعتقال والسجن، وكانت محاطة بالمراقبة والإقامة الجبرية.

إن ذلك بالإضافة إلى ما نقل عن عدد تلاميذه والرواة عنه ليشير إلى عمل استثنائي قام به صلوات الله عليه في هذا الجانب.

وقد اشتملت هذه الكتب والتوقيعات على جهات متعددة:

فمنها ما جاء في تبيين بعض العقائد الأصلية الدينية، ومنها

ما جاء في توضيح الأحكام الفقهية والإجابة على أسئلة وجهت إليه في هذا الشأن من عبادات ومعاملات، ومنها ما يرتبط بشؤون شخصية وخاصة لصاحب الكتاب، ومنها ما يكشف عن أمور مستقبلية قد ترتبط بالشخص نفسه وقد ترتبط بالحالة العامة، ومنها ما يتصل بقضايا الصحة والبدن.

هذا بالإضافة إلى ما كان يوجهه من توجيهات عامة للوكلاء في مناطقهم المختلفة.

وسنتعرض بمناسبة الحديث عن الجانب العلمي في حياته عليه السلام إلى بعض ما ذكره من هذه التوقيعات المتصلة بهذا الجانب.

العقائد:

1/ **في التوحيد** وأن الله سبحانه جلّ عن أن يُرى بالبصر وإنما رآه رسول الله بقلبه في تفسير لما جاء في سورة النجم، فعن يعقوب بن إسحاق قال: «كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله: كيف يعبد العبدُ ربَّه وهو لا يراه؟ فوقّع عليه السلام: يا أبا يوسف جلّ سيدي ومولاي والمنعمُ علي وعلى آبائي أن يُرى. قال: وسألته هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربَّه؟ فوقّع عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب».[1]

(1) الصدوق: التوحيد 108.

ويظهر أن بعض مسائل التوحيد كانت ساخنة في ذلك الوقت، لا سيما مع ذكرها من قبل منابر السلطة وعلمائها وتوجه السلطة آنئذ للالتزام بخط الحنابلة وأهل الحديث وما يجره ذلك إلى القول بالتجسيم والتشبيه، فمن الطبيعي أن تنعكس هذه النقاشات على الشيعة ويطلبون الجواب فيها، فعن سهل بن زياد، قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام سنة خمس وخمسين ومائتين: قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد منهم من يقول هو جسم، ومنهم من يقول هو صورة، فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولًا فوقع عليه السلام بخطه: سألت عن التوحيد، وهذا عنكم معزول، الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك، ويصور ما يشاء، وليس بمصوَّر، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتعالى عن أن يكون له شبيه، هو لا غيره[1] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.[2]

2/ في لعن جاحد الأئمة حقوقهم: وأنه يجب مبايعتهم في

(1) المصدر نفسه 102.

(2) الشورى: 11.

أيام إمامتهم فعن أبي طاهر البلالي قال: خرج إليّ من أبي محمّد عليه السلام قبل مضيه بسنتين، يخبرني بالخلف من بعده ثم خرج إليّ قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بذلك، فلعن اللّه من جحد أولياء اللّه حقوقهم.»[1]

3/ **مقامات الأئمة المتميزة**: وقد ذكرنا في بعض الصفحات بأنه كما أن خط الغلو في الأئمة المعصومين خط باطل وقد حاربوه وفضحوا رموزه، فإن خط التقصير والحط من منازلهم الخاصة ومقاماتهم الشامخة التي تشير إلى اختصاص الله إياهم، هو أيضًا خط باطل، فهم وإن كانوا بشرًا لكنهم بشر اختصهم الله، ولذلك وجدنا لهم مقامات لا تكون لغيرهم، ومما أوضحه الإمام العسكري لبعض أصحابه عندما كاتبه الأقرع فقال: كتبت إلى أبي محمد أسأله عن الإمام هل يحتلم؟ وقلت في نفسي بعد ما فصل الكتاب: الاحتلام شيطنة وقد أعاذ الله تبارك وتعالى أولياءه من ذلك، فورد الجواب: حال الأئمة في المنام حالهم في اليقظة لا يغير النوم منهم شيئًا وقد أعاذ الله أولياءه من لمة الشيطان كما حدثتك نفسك.[2]

(1) الحر العاملي: إثبات الهداة 5/ 107.

(2) الكليني: الكافي 1/ 557.

4/ **معنى من كنت مولاه فعلي مولاه**: من البحوث التي أثارها علماء مدرسة الخلفاء التشكيك في دلالة كلام النبي في يوم الغدير في حق الإمام علي: من كنت مولاه فعلي مولاه. فحاولوا توجيهها بما ينتهي إلى معنى المحبة، دون الموالاة، وبالتالي تفقد أهميتها العقائدية ولا يعود عليٌّ عليه السلام فيصلًا ما بين الهدى والضلال فأوضح الإمام العسكري أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمقالته تلك أراد أن يعرفه قائدًا لحزب الله المفلحين عندما تفترق الفرق وتتشظى الاتجاهات، فعن الحسن بن ظريف، قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله ما معنى قول رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين: من كنت مولاه فهذا مولاه؟ قال عليه السلام: أراد بذلك أن يجعله علَمًا يعرف به حزب اللّه عند الفرقة.[1]

في الفقه والأحكام العبادية:

كثيرة هي الأحكام التي وردت في أجوبة الإمام العسكري عليه السلام، ونقتصر على عرض لبعضها[2] كالتالي:

(1) الصالحي النجف آبادي؛ الشيخ عبد الله: موسوعة مكاتيب الأئمة 2/ 199.

(2) لسنا هنا في مقام أخذ الفتوى من الحديث والمكاتبة، وذلك لأن بعض الأحاديث قد تشرحها أحاديث أخر أو تقيدها، وإنما في مقام بيان جانب من تراث الإمام عليه السلام العلمي، وأخذ الفتوى إنما يكون من الرسالة العملية لمرجع تقليد الشخص.

الطهارة والصلاة:

1/ يعتبر الغسل من الجنابة (والحدث الأكبر) عمومًا شرطا في صحة الصلاة، وهذا بالإضافة إلى ما جاء به الكتاب (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) هو ما دلت عليه الأحاديث الكثيرة، لكن ليتحقق الغسل الصحيح قال العلماء بأنه ينبغي أن يتبول الرجل بعد الجنابة وقبل الاغتسال لكي يتأكد من خلو مجرى البول من بقايا السائل المنوي، وبهذا جاءت المكاتبة مع الإمام العسكري عليه السلام فعن أحمد بن هلال، قال: «سألته عن رجل اغتسل قبل أن يبول. فكتب عليه السلام: إنّ الغسل بعد البول، إلّا أن يكون ناسيًا فلا يعيد منه الغسل».[1]

2/ ومن شروط الصلاة أن لا يكون لباس المصلي وما يصلي فيه حريرًا محضًا بالنسبة للرجال ويجوز للنساء، وأن لا يكون مما لا يؤكل لحمه ولذا أفتى الفقهاء بأنه لا تصح صلاة المصلي لو كان على لباسه أو بدنه وبر القطط أو الأرانب[2] وما شابهها مما لا يؤكل لحمه، فعن الأول قال محمّد بن عبد

(1) الطوسي؛ محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام 1/ 145.

(2) الهاشمي الشاهرودي؛ السيد محمود: موسوعة الفقه الإسلامي المقارن 3/ 31: الأرنب: اختلف الفقهاء في حرمة أكل لحم الأرنب على قولين: الأوّل: يحرم أكله، ذهب إليه الإماميّة. القول الثاني: يحلّ أكله، ذهب إليه جمهور فقهاء المذاهب.

الجبّار: كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله: هل يصلّى في قلنسوة حرير محض، أو قلنسوة ديباج؟

فكتب عليه السلام: لا تحلّ الصلاة في حرير محض.»[1]

وعن الثاني كتب إليه إبراهيم بن عقبة: عندنا جوارب وتكك[2] تعمل من وبر الأرانب، فهل تجوز الصلاة في وبر الأرانب من غير ضرورة ولا تقيّة؟

فكتب عليه السلام: لا تجوز الصلاة فيها.[3]

- ويقضي أكبر الأولاد الذكور عن والده ما فاته من الصلاة والصيام[4] فقد جاء في الخبر عن محمد بن يحيى عن محمد قال: كتبت إلى الأخير (يعني العسكري) عليه السلام في رجل مات وعليه قضاء من شهر رمضان عشرة أيام وله وليان هل يجوز لهما أن يقضيا عنه جميعًا خمسة أيام أحد الوليين وخمسة أيام الولي الآخر؟ فوقّع عليه السلام: يقضي عنه أكبر ولييه عشرة أيام ولاء إن شاء الله».[5]

(1) الكليني: الكافي ـ دار الحديث ـ 6/ 400.
(2) تكك: جمع تكة، وهي رباط السراويل.
(3) المصدر نفسه والصفحة.
(4) ولعل هذا الحكم ثبت عليه في مقابل ما ثبت له من اختصاصه بالحبوة في الميراث.
(5) الصدوق: محمد بن علي بن بابويه: من لا يحضره الفقيه 2/ 154.

3/ وبالنسبة للصوم وشهر رمضان فقد علم الإمام في مكاتيبه بعض المستحبات، منها ما يرتبط بالأغسال المستحبة فعن أبي الخير صالح بن أبي حمّاد، قال: كتبت إلى أبي محمّد الحسن أسأله عن الغسل في ليالي شهر رمضان؟

فكتب عليه السلام: إن استطعت أن تغتسل ليلة سبعة عشرة، وليلة تسعة عشرة، وليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين فافعل، فإنّ فيها ترجى ليلة القدر، فإن لم تقدر على إحيائها فلا يفوتنّك إحياء ليلة ثلاث وعشرين تصلّي فيها مائة ركعة تقرأ في كلّ ركعة الحمد مرّة، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، عشر مرّات».[1]

وفي هذه المكاتبة إشارة إلى تقديم إحياء ليلة ثلاث وعشرين على غيرها.

وقد اشتهر بين الإمامية هذا الدعاء الذي ربما لا يتركه أحد منهم طوال شهر رمضان وقد أخبر الإمام عليه السلام أصحابه به من خلال مكاتبته معهم: فعن رجاء بن يحيى بن سامان، قال: خرج إلينا من دار سيّدنا أبي محمّد الحسن بن علي صاحب العسكر عليهما السلام، سنة خمس وخمسين ومائتين، فذكر الرسالة المقنعة

(1) البروجردي؛ السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة 3/ 22.

بأسرها، قال: وليكن ممّا يدعو به بين كلّ ركعتين من نوافل شهر رمضان: «اللّهمّ اجعل فيما تقضي وتقدّر من الأمر العظيم المحتوم، وفيما تفرق من الأمر الحكيم في ليلة القدر، أن تجعلني من حجّاج بيتك الحرام، المبرور حجّهم، المشكور سعيهم، المغفور ذنبهم، وأسألك أن تطيل عمري في طاعتك، وتوسّع لي في رزقي، يا أرحم الراحمين».[1]

المعاملات:

وكما كانت مكاتباته لشيعته في أبواب العبادات تنير لهم طريق الحكم الشرعي فكذلك الأمر في أبواب المعاملات، وقد تنوعت هذه على مختلف عناوين المعاملات فمنها:

1/ ما يرتبط بسعر البضاعة بين المتعاملين وأنه يكون بسعر يوم الاتفاق: فإنه يحدث أن تنخفض أو ترتفع قيمة العوض (عملة أو عين) فيحدث التنازع، وقد أجاب الإمام عليه السلام في كتاب له على هذه المسألة، فقد كتب محمّد بن الحسن إلى أبي محمّد عليه السلام: رجل استأجر أجيرًا يعمل له بناءً أو غيره وجعل يعطيه طعامًا وقطنًا وغير ذلك، ثمّ تغيّر الطعام والقطن من

(1) ابن طاووس؛ السيد علي: إقبال الأعمال 1/ 80.

سعره الذي كان أعطاه إلى نقصان، أو زيادة، أيحتسب له بسعر يوم أعطاه، أو بسعر يوم حاسبه؟

فوقّع عليه السلام: يحتسب له بسعر يوم شارطه فيه، إن شاء اللّه.

2/ ومن المعاملات الرائجة في المجتمع هو التأجيل في تسديد الدين في مقابل دفع مال من جهة المدين، وهي معاملة غير صحيحة، وتعد من ملحقات الربا، وقد ذكر حكمها الإمام عليه السلام في جوابه على كتاب أحدهم: فقد كتب إليه: رجل يكون له على رجل مائة درهم، فيلزمه، فيقول له: أنصرف إليك إلى عشرة أيّام، وأقضي حاجتك، فإن لم أنصرف فلك عليّ ألف درهم حالة من غير شرط، وأشهدُ بذلك عليه، ثمّ دعاهم إلى الشهادة فوقّع عليه السلام: لا ينبغي لهم أن يشهدوا إلّا بالحقّ، ولا ينبغي لصاحب الدين أن يأخذ إلّا الحقّ، إن شاء اللّه».[1]

3/ والبيع جائز ما لم يكن هناك ملزم له؛ ومما يجعله لازمًا هو التصرف في السلعة المشتراة، فإن ذلك يجعل البيع لازمًا فقد كتب محمد بن الحسن الصفار إلى أبي محمّد عليه السلام «في الرجل اشترى من رجل دابّة، فأحدث فيها حدثًا من أخذ الحافر، أو

(1) الكليني: الكافي ـ دار الحديث ـ 10/ 521.

نعلها، أو ركب ظهرها فراسخ، ألـه أن يردّها في الثلاثة أيّام التي له فيها الخيار بعد الحدث الذي يحدث فيها، أو الركوب الذي ركبها فراسخ؟

فوقّع عليه السلام: إذا أحدث فيها حدثًا فقد وجب الشراء، إن شاء اللّه تعالى.»[1]

4/ ومن المعلوم أن المرأة المعتدة عدة الطلاق الرجعي وعدة الوفاة لا يصح أن تخرج من منزلها بدون اذن زوجها؛ أما الأولى فلأنها لا تزال في حكم الزوجة، وأما الثانية فلعدم جواز خروجها من بيتها فترة الحداد من غير ضرورة أو حاجة، لكن مع فرض حاجتها وعدم إنفاقه عليها يجوز لها ذلك، وقد بيّن الإمام ذلك في كتاب (أو كتابين) لمحمد بن الحسن الصفار في امرأة طلّقها زوجها، ولم يجر عليها النفقة للعدّة، وهي محتاجة، هل يجوز لها أن تخرج وتبيت عن منزلها، للعمل والحاجة؟

فوقّع عليه السلام: لا بأس بذلك إذا علم اللّه الصحّة منها.[2]

وفي الآخر عن امرأة مات عنها زوجها، وهي في عدّة منه،

(1) الطوسي: تهذيب الأحكام 7/ 75.

(2) الحر العاملي وسائل الشيعة ـ آل البيت ـ 22/ 278.

وهي محتاجة لا تجد من ينفق عليها، وهي تعمل للناس، هل يجوز لها أن تخرج وتعمل، وتبيت عن منزلها، للعمل والحاجة في عدّتها؟

قال: فوقّع عليه السلام: لا بأس بذلك، إن شاء اللّه».[1]

5/ وإذا تقبل أحد أمانة أو وديعة، فجعلها عند غيره من دون إذن صاحبها، وتلفت فإنه يضمنها، يشير إلى ذلك توقيعه عليه السلام إلى محمّد بن الحسين، قال:

كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام: رجل دفع إلى رجل وديعة، فوضعها في منزل جاره فضاعت، فهل يجب عليه إذا خالف أمره، وأخرجها من ملكه؟

فوقّع عليه السلام: هو ضامن لها، إن شاء اللّه.

6/ وفي الأوقاف أشار الإمام عليه السلام إلى قواعد عامة بقيت هي المنبع لأحكام الوقف، فمنها تعيين مصرف الوقف بشكل دقيق وعدم الإبهام فيه، وإلا فسد الوقف ورجع ميراثا، ومن ذلك ما عن: محمّد بن الحسن الصفّار، قال:

كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله عن الوقف الذي يصحّ، كيف

(1) الصدوق: من لا يحضره الفقيه 3/ 508.

هو؟ فقد روي: أنّ الوقف إذا كان غير موقّت، فهو باطل مردود على الورثة، وإذا كان موقّتًا فهو صحيح ممضى وقال قوم: إنّ الموقّت هو الذي يذكر فيه أنّه على فلان وعقبه، فإذا انقرضوا فهو للفقراء والمساكين إلى أن يرث اللّه عزّ وجلّ الأرض ومن عليها. قال: وقال آخرون: هذا موقّت إذا ذكر أنّه لفلان وعقبه ما بقوا، ولم يذكر في آخره للفقراء والمساكين إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها. والذي هو غير موقّت أن يقول: هذا وقف، ولم يذكر أحدًا، فما الذي يصحّ من ذلك، وما الذي يبطل؟

فوقّع عليه السلام: الوقوف بحسب ما يوقفها أهلها إن شاء اللّه».[1]

إخبارات المستقبل وما في الضمير:

من الأمور التي تثبت ارتباط أئمة الهدى عليهم السلام بخالقهم ارتباطًا خاصًا لا يتيسر لغيرهم، هو علمهم بالمستقبل وما سيحصل، بإعلام الله لهم وإطلاعهم على ذلك الغيب حيث لا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول (أو وصي) حيث الغاية واحدة من إطلاعهما على ذلك وهي إخبار الناس عن ارتباطهما الخاص بخالقهما وانتخاب الله لهما.

(1) الطوسي: تهذيب الأحكام 9/ 133. وفي هذا الخبر بحوث كثيرة للعلماء، لا يتحمل وضع الكتاب الإشارة إليها، فمن أراد فليرجع إلى الكتب الاستدلالية في باب الوقف.

وهكذا الحال في إخبار المعصومين بما في ضمائر الناس من أسئلة أو حاجات قبل النطق بها، وأحيانا حتى مع ذهولهم عنها ونسيانهم لها، فإن ذلك حجة ينبغي للناظر أن يتوصل من خلالها إلى إمامة هؤلاء الإلهية!

فمن الأول إخبار الإمام عليه السلام بما يجري على الخلفاء العباسيين؛ وقد ذكرنا في بعض صفحات هذا الكتاب إخبار الإمام بهلاك المعتز (الزبير بن المتوكل) مع أن الظروف الطبيعية والمؤشرات لا تقتضي هذا، بل بالعكس كان في أوج جبروته وكان قد صمم على قتل الإمام، فترى الإمام هنا يجيب أحد أصحابه الذي كان قلقًا عليه من ما خطط له المعتز العباسي من أنه سيسلم الإمام إلى أحد القادة العسكريين ليقتله قبل دخوله به إلى الكوفة، وقال: أبو الهيثم بن سيابة: «جعلني الله فداك بلغنا خبر قد أقلقنا وبلغ منّا! فكتب إليه عليه السلام: بعد ثلاثة يأتيكم الفرج فخلع المعتز يوم الثالث».

وهكذا عندما أخبره بعضهم بتهديد المهتدي العباسي الذي جاء بعد المعتز وأنه سيقتل الإمام ويجلي شيعته، وتخوف من سمع ذلك، طمأنه الإمام بأن ذلك لا يتم وإنما الذي يحصل أن المهتدي هو الذي سوف يخلع ويمر بإذلال وإهانة بعد أيام.[1]

(1) راجع الفصل الخاص بمواقف الحكام العباسيين من الإمام عليه السلام.

إن هذه الإنباءات التي لا تخطئ لتدل بشكل واضح على أن منبع العلم الذي يستقي منه هؤلاء المعصومون ليس عاديًّا ولا متيسرًا لعامة العلماء فضلًا عن الناس.

كما لا يمكن تفسيره بأنه عبارة عن قراءة ناضجة للحالة السياسية، فإن ذلك وإن حصل لأناس إلّا أن توقيته بالدقة بالأيام لا يمكن أن يكون كذلك، وتكرره كذلك يشير إلى الأمر لا يرتبط بقراءة سياسية أو اجتماعية.

وأوضح منه ما هو من إخبارات في قضايا شخصية وفردية، فهذا أبو هاشم الجعفري الذي ضاق بالسجن ذرعًا وشكى ذلك إلى الإمام عليه السلام، كتب الإمام له مخبرًا بأنك «تصلي اليوم الظهر في منزلك.»[1] وهو ما حصل بالفعل!

ومثله علي بن محمّد بن زياد الذي «خرج إليه توقيع أبي محمّد عليه السلام فيه: فكن حِلسًا من أحلاس بيتك![2]

قال: فنابتني نائبة فزعت منها، فكتبت إليه: أهي هذه؟

فكتب عليه السلام: لا! أشدُّ من هذه، فطُلبت بسبب جعفر بن

(1) الكليني: الكافي ـ دار الحديث ـ 2/ 630.

(2) يعني الزم البيت ولا تخرج.

محمود[1] ونودي عليَّ: من أصابني فله مائة ألف درهم.[2]

وعندما كاتبه أحدهم وعزم على أن يسأله على مسائل فذكر بعضها ونسي بعضها الآخر، أجابه الإمام عليه السلام على مسائله المنسية التي لم يذكرها في الكتاب كما أجابه على المسائل الأخر، فإنه قد ذكر محمّد بن صالح الخثعمي فقال: عزمت أن أسأل في كتابي إلى أبي محمّد عليه السلام عن أكل البطّيخ على الريق، وعن صاحب الزنج،[3] فأنسيت. فورد عليّ جوابه عليه السلام: لا يؤكل البطّيخ على الريق، فإنّه يورث الفالج. وصاحب الزنج ليس منّا أهل البيت».[4]

(1) التوحيدي ؛ أبو حيان،علي بن محمد: البصائر والذخائر 8/ 202 في الهامش: جعفر بن محمود أبو الفضل الإسكافي من كبار الشيعة، وزر للمعتز، وكان ثقيلًا على قلبه إلا أنه أبقاه لحب الأتراك إياه، ثم ما لبث أن عزله ونفاه إلى تكريت، فلما ولي الخلافة المهتدي أعاده إلى عمله، وبعد ذلك نفاه إلى بغداد وحبسه، وتوفي سنة 268.

(2) الراوندي؛ قطب الدين: الخرائج والجرائح 1/ 452.

(3) الزركلي؛ خير الدين: الأعلام 4/ 324: ذكره بهذا النص: صاحب الزنج (... ـ 270هـ =... ـ 883 م) علي بن محمد الورزنيني العلوي، الملقب بصاحب الزنج: من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي. وفتنته معروفة بفتنة الزنج لأن أكثر أنصارهمنهم.
ولد ونشأ في «ورزنين» إحدى قرى الري. وظهر في أيام المهتدي بالله العباسي سنة 255هـ، وكان يرى رأي الأزارقة. والتف حوله سودان أهل البصرة ورعاعها. فامتلكها واستولى على الأبلة. وتتابعت لقتاله الجيوش، فكان يظهر عليها ويشتتها. ونزل البطائح، وامتلك الأهواز، وأغار على واسط، وجعل مقامه في قصر اتخذه بالمختار. وعجز عن قتاله الخلفاء، حتى ظفر به «الموفق بالله» في أيام المعتمد، فقتله وبعث برأسه إلى بغداد. قال المرزباني «تروى له أشعار كثيرة في البسالة والفتك، كان يقولها وينحلها لغيره. في نسبه (العلوي) طعن وخلاف.

(4) الحر العاملي: إثبات الهداة 5/ 39.

مسائل مشتركة
في أيام العسكريين عليهما السلام

يمكن للناظر في تاريخ الإمامين العسكريين (علي الهادي وابنه الحسن العسكري) وشيئًا مّا أوائل زمان إمامة الإمام المهدي عليه السلام جميعًا، أن يلاحظ مشتركات في الوضع السياسي والاجتماعي الذي كانوا يعيشونه، وقد يكون بعض ذلك راجعًا بصورة خاصة إلى الحالة الخاصة التي رافقت السلطة الحاكمة العباسية آنئذ، فإن مثل ذلك ينعكس على سياسة الخلفاء بل وحالة المجتمع. فقد يكون تغلغل الميليشيا العسكرية التركية، وطغيان قوتها التي بلغت الذروة في تلك الأيام بعدما كانت فتية وناشئة مثلًا أيام المعتصم، قد أثر بشكل كبير على إضعاف «الخليفة الرسمي» وأدى بتبع ذلك إلى كثرة العزل والقتل في الخلفاء، ومن لم يحصل له ذلك يكون مأمورًا وخاضعًا[1] للقادة العسكريين الأتراك.

(1) مثّلها قول الشاعر:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا يقول ما قالا له كما تقول الببغا

العزل والقتل وقصر مدة حكم الحاكمين العباسيين أثّر بمجموعه في أن يكون من يديرون الصراع مع الأئمة وأتباعهم محكومين بمعادلات متخالفة يجمعها الخوف على المنصب غالبًا، والخشية من القتل ـ على يد المنافسين في داخل الأسرة أو العسكريين الأتراك الذين يفترض أنهم جلبوا لحماية الخلفاء!

سنتناول في هذا البحث قسمًا من هذه المسائل المشتركة في نقاط:

الأولى: قصر أعمار الأئمة

يلحظ بعض الباحثين لهذه الفترة الزمنية قصر أعمار الأئمة عليهم السلام وقصر مدة بقائهم في الحياة، فنلاحظ مثلًا أن عمر الإمام الحسن العسكري كان نحو 28 سنة، ووالده الإمام الهادي كان عمره 40 سنة، وأما جده الجواد فقد كان عمره 25 سنة!

المشترك بينهم أن أعمارهم كانت قصيرة، ويقوّي هذا الأمر الاتجاهَ القائلَ بأن مفارقة هؤلاء الأئمة للدنيا لم تكن بنحو طبيعي بل «بفعل فاعل»، ذلك أن الشخص الذي عمره 25 أو 28 سنة أو نحو، من الطبيعي أن يعيش أكثر من ذلك ـ وإن كان الموت لا يتحدد بعمر معين. ولكن موت شخص في سن الثمانين مثلًا بل السبعين لا يستدعي السؤال لماذا؟ بخلاف شخص آخر يعتبر في عز شبابه.

ومن المعلوم أنه يوجد بين المحدثين والمؤرخين الشيعة رأيان في هذه المسألة:

أحدهما: يقول بأن أئمة أهل البيت جميعًا ماتوا بين مقتول ومسموم، يستندون لعدة روايات: (ما منا إلا مسموم أو مقتول)، و(ما منا إلا مسموم أو شهيد)، فهذه الروايات وفيها ما هو صحيح السند، تؤكد هذا المعنى.

وثانيهما: يقتصر في الحكم بالقتل (سمًّا أو بالسيف) على من ثبت فيهم[1] ذلك كعلي أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام في القتل بالسيف، ويختلف في باقي الأئمة بين من يقول بمسمومية الإمام الحسن المجتبى والإمام الكاظم والإمام الرضا وبين من يوسع تلك الدائرة.. وقد بحثنا هذا الأمر وبيّنا رأي كل من الطرفين في موضع آخر من هذه السلسلة فليرجع إليه.

وعلى كل حال فإن مما يضيف قرائن للقول بشهادة العسكريين والجواد بالسم هو قصر الأعمار.

(1) المفيد: محمد بن النعمان: تصحيح اعتقادات الإمامية 131: فأما ما ذكره أبو جعفر ـ رحمه الله ـ من مضي نبينا والأئمة ـ عليهم السلام ـ بالسم والقتل، فمنه ما ثبت، ومنه ما لم يثبت، والمقطوع به أن أمير المؤمنين والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ خرجوا من الدنيا بالقتل ولم يمت أحدهم حتف أنفه، وممن مضى بعدهم مسمومًا موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ ويقوى في النفس أمر الرضا ـ عليه السلام ـ وإن كان فيه شك، فلا طريق إلى الحكم فيمن عداهم بأنهم سموا أو اغتيلوا أو قتلوا صبرًا، فالخبر بذلك يجري مجرى الإرجاف، وليس إلى تيقنه سبيل.

الثانية: الإمامة في عمر مبكر

كذلك يلاحظ أن إمامة هؤلاء المعصومين عليهم السلام (بدءا من الإمام الجواد وانتهاءً بالإمام المهدي) كانت في وقت مبكر من أعمارهم الشريفة، وهذا الأمر في مثال الإمام الجواد عليه السلام وإن لم يكن بفعل اغتيال الإمام الرضا عليه السلام بالسم، فإن ذلك تم في وقت متأخر نسبيًّا من عمره الشريف، وإنما لتأخر ولادة الإمام الجواد والتي حصلت قبل نحو ثمان سنوات من شهادة أبيه. إلا أنه بالنسبة إلى الأئمة الثلاثة بعده، كانت بهذا السبب وذلك أنه إذا كان تم قتل واغتيال الإمام السابق في وقت مبكر من عمره فمن الطبيعي أن يكون خليفته القائم مقامه صغير السن. فاغتيال الإمام الجواد عليه السلام وعمره نحو خمس وعشرين سنة، جعل ابنه الهادي يتولى الإمامة في حدود الثامنة من العمر تمامًا مثلما كان بالنسبة لأبيه الجواد.

وأما الإمام العسكري فقد تولى الإمامة وعمره الشريف نحو عشرين سنة، وهو في هذا وإن لم يكن كأبيه وجده إلا أنه لم يكن أمرًا معتادًا ضمن شيعة أهل البيت أن يتولى الإمامة أحد من الأئمة في هذا العمر ودونه قبل الإمام الجواد عليه السلام.

والإمام المهدي تولى الإمامة وهو في السادسة من العمر.

وفيما أحدثت المسألة (تولي الإمامة في حداثة السن) أسئلة واستفهامات في الدائرة الشيعية، حتى من قِبل بعض الأصحاب الكبار، في زمان الإمام الجواد عليه السلام، إلا أنها لم تثر أسئلة بنفس الحجم ولا من أشخاص كبار في من تأخر عن الإمام الجواد من أبنائه عليهم السلام.

ولعل ذلك ـ كما ذكرناه ـ بتفصيله في كتابنا عن الإمام الجواد (الأعظم برَكة) راجع إلى ما رأى الخاصة من الشيعة والعامة من المسلمين، وما عاينوه في شخصية الإمام الجواد المحيطة بالشريعة، والمعجزة لكل من عداه في معرفة الدين.

الثالثة: ظاهرة الاحتجاب عن الناس

فإنه كانت العادة أن ينفتح الأئمة على عامة الناس، فضلًا عن شيعتهم، ومن خلال ذلك كان الناس يهتدون إلى ما عندهم من معارف الهية، وميزات لا تجتمع لغيرهم، وكانوا يتقصدون في ذلك وصول الناس إليهم، ووصول هديهم للناس.

وفي المقابل كانت السلطات الحاكمة تسعى بمقدار جهدها في فصل الناس عن الأئمة، تارة بتعيين البدائل من الفقهاء والقضاة وأئمة الجماعات، ومدرسي الحلقات، واعتماد فتاوى البدائل كنظام ودستور فقهي للناس لا يقبلون غيره.

بل تهجّر الإمام من بلده الأصلي إلى بلدان أخر (لا شعبية له فيها ولا معرفة من الناس له) أو تفرض على بعضهم السجن والاعتقال، أو تستقدمهم إلى عواصم الخلافة فيما يشبه الإقامة الجبرية وتمنع الناس من الاتصال بهم، وقد رأينا هذا الأمر في الكثير من أئمة الهدى عليهم السلام.

إلا أن الشيء الجديد الذي لاحظناه في حياة الأئمة الثلاثة بعد الجواد (العسكريين والمهدي) أنهم هم فرضوا الاحتجاب على أنفسهم، ومنعوا في حالات كثيرة شيعتهم من التواصل العلني المباشر معهم، حتى على مستويات إلقاء التحية والسلام[1] فضلاً عن حضور حلقات دروسهم والكون معهم اجتماعيًّا.

ومع أن هذه السياسة كانت ضرورية فيما نفهمها خصوصًا أيام الإمام العسكري لحماية شيعته، في وقتٍ كان أمر سجن أصحاب الإمام عليه السلام هو من أسهل الأمور. فإنه يستفاد من الروايات أن سجن الإمام العسكري أكثر من مرة ـ كما تعرضنا له في فصل: من الميلاد إلى الاستشهاد ـ كان يرافقه أو يسبقه اعتقال عدد غير قليل من أتباعه وأصحابه الخاصين.

(1) المسعودي: إثبات الوصية 272: لمّا أفضى الأمر إلى أبي محمّد عليه السلام كان يكلّم شيعته الخواصّ وغيرهم من وراء الستر إلّا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان..

فكان الاحتجاب والامتناع من اللقاءات الاجتماعية مع أصحابه وأتباعه نوع حماية وصيانة لهم.

بالطبع لم يكن ذلك الاحتجاب خيرًا مطلقًا ولكنه بملاحظة الظرف المحيط بالإمام والشيعة هو الأفضل له ولهم، وإلا فإن له آثارًا سلبية، مثل أن يسهل حركة المغامرين والمنحرفين والأدعياء، في أنهم يمثلون الإمام أو أنهم يحملون توجيهات خاصة منه كما حصل فعلًا من أحمد بن هلال.

لقد رأينا أن بعض حركات الغلو والتصوف، قد استفادت من هذا الاحتجاب، لا سيما أولئك الذين كانوا معروفين في المحيط الشيعي، وهم في تلك الحركات لم يكونوا صادقين في ادعاء المقامات العالية للأئمة ولا في الذوبان في الأمور العبادية، وإنما كانت تلك العناوين بغرض الرئاسة، وتحصيل الأتباع، ولأنهم كذلك فقد خرجت التوقيعات من الإمام العسكري بالبراءة منهم ولزوم اجتنابهم ومنعم من الدخول بين شيعة الإمام عليه السلام.

لقد نقل أن أحمد بن هلال العبرتائي قد حج أربعًا وخمسين حجة! لكن الإمام العسكري عليه السلام وصفه في رسالة منه[1] إلى وكيله

(1) هناك من يرى أن الرسالة كانت من الإمام المهدي عليه السلام.

القاسم بن العلاء بالمتصنع، فقد جاء في تلك الرسالة «كان أمرنا نفذ إليك في المتصنع ابن هلال لا رحمه الله بما قد علمت لم يزل لا غفر الله ذنبه ولا اقاله عثرته يداخل في أمرنا بلا إذن منا ولا رضى يستبد برأيه فتحامى من ذنوب لا يمضي من أمرنا الا بما يهواه ويريد ارداه الله بذلك في نار جهنم.. ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال لا رحمه الله ولا من لا يبرأ منه».[1]

ومثله عروة بن يحيى الدهقان، فمع أنه كان في أول الأمر وكيلًا مستقيمًا، إلا أنه تغير وطمع في الأموال التي كانت تصل إليه وأخذ يظهر بعض مقالات الغلو «حتى لعنه أبو محمد (العسكري) عليه السلام، وأمر شيعته بلعنه والدعاء عليه لقطع الأموال».[2]

لقد وجدنا في عصرنا الحاضر نماذج من هؤلاء الغلاة والمتصوفة الكاذبين والوكلاء المنحرفين، والحال أن المرجع يمكن الوصول إليه بسهولة، ومع ذلك حصلت تلك النماذج واستمرت في خطاياها فكيف إذا كان القائد ـ لجهة الظرف المحيط به ولسلامة شيعته ـ محتجبًا عن اللقاء المباشر؟

(1) الطوسي: الغَيبة 353.

(2) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) 2/ 843.

وكان لا بدَّ من التعويض عن ذلك الاحتجاب الاجتماعي لكيلا يحصل الابتعاد من الناس عن منهاج قادتهم المعصومين، فاستفاد الإمام العسكري عليه السلام من وسيلتين:

ـ المكاتبة والتوقيعات:

كثرت من الإمام عليه السلام التوجيهات المكتوبة، والتي قد تعرف بالتوقيعات، وكانت تارة تخرج للأفراد في شكل إجابات على مسائل، أو توجيهات خاصة بهم، وأخرى تخرج لعامة الشيعة فيما نسميه هذه الأيام بخارطة العمل.

فمن الأول ما كتبه عليه السلام إلى والد الشيخ الصدوق أبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي: «أما بعد: أوصيك يا شيخي ومعتمدي أبا الحسن علي بن الحسين القمي ـ وفقك الله لمرضاته، وجعل من صلبك أولادًا صالحين برحمته ـ بتقوى الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإنه لا تقبل الصلاة من مانعي الزكاة. وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال الله عز وجل: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ

﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]. واجتناب الفواحش كلها، وعليك بصلاة الليل، فإن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أوصى عليًّا عليه السلام فقال: يا علي عليك بصلاة الليل (ثلاث مرات) ومن استخف بصلاة الليل فليس منا، فاعمل بوصيتي.. إلى أن يقول: عليك بالصبر وانتظار الفرج قال النبي أفضل اعمال أمتي انتظار الفرج ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا! فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي وأأمر جميع شيعتي بالصبر فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته..[2]

وهكذا فقد عين الإمام الموقف من اختلاف بعض الشيعة إلى أحد شيعته من بني أسباط، فقد قال: كتبت إلى أبي محمّد أخبره من اختلاف الموالي وأسأله بإظهار دليل!، فكتب: إنّما خاطب الله العاقل وليس أحد يأتي بآية ويظهر دليلًا أكثر مما جاء به خاتم النبيّين وسيد المرسلين، فقالوا كاهن وساحر وكذّاب وهُدي من

(1) النساء: 114.

(2) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام 1/ 5.

اهتدى، غير أنّ الأدلّة يسكن إليها كثير من الناس، وذلك أنّ الله يأذن لنا فنتكلّم ويمنع فنصمت، ولو أحبّ الله أن لا يظهر حقّنا ما ظهر، بعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين يصدعون بالحقّ في حال الضعف والقوة وينطقون في أوقات ليقضي الله أمره وينفذ حكمه..»[1]

بل إنه عليه السلام أحيانًا يوجه بعض الأوامر الكتابية (التوقيعات) لأشخاص للحفاظ عليهم من إيذاء السلطان لهم، كما حصل لعلي بن محمد بن زياد حيث قال: إنّه خرج إليه توقيع أبي محمّد عليه السلام، وجاء فيه: فكن حِلْسًا من أحلاس[2] بيتك.

قال: فنابتني نائبة! فكتبت إليه: أهي هذه؟

فكتب عليه السلام: لا. أشدُّ من هذه، فطلبت بسبب جعفر بن محمود ونودي عليّ من أصابني فله مائة ألف درهم».[3] وبالتالي فقد نجا من متابعة السلطة له.

ومن الثاني: وهو ما يرتبط بالتوجيهات العامة للشيعة،

(1) الراوندي؛ قطب الدين: الخرائج والجرائح 1/ 449.

(2) الحِلْس أشبه بالحصير، والمعنى المقصود أن يختفي في منزله وألاّ يكون له ظهور اجتماعي في تلك الفترة.

(3) الإربلي؛ علي بن أبي الفتح: كشف الغمة في معرفة الأئمة 3/ 213.

والتخطيط لهم سواء كانوا في سامراء أو في البلاد البعيدة عن سامراء، وهو ما كان يرسله عليه السلام لوكلائه ونوابه، وسنعرض إلى بعضه هنا وفي فقرة الوكلاء.

ومن أهم تلك التوجيهات ما كان يرتبط بابنه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سواء في الإخبار عن ميلاده أو بث الأمل بتغيير الفساد بظهوره عليه السلام أو بالإخبار عن فشل مخططات السلطة العباسية الجائرة في محاولاتها للقضاء عليه. فهذا كله كان يخبر عنه الإمام العسكري من خلال مكاتباته لوكلائه وتوقيعاته لهم، ومن الطبيعي أن هؤلاء بحكم نيابتهم عن الإمام ووكالتهم سيقومون ببث ما جاء في توقيعاته وإخبار الشيعة في مناطقهم عن فحواها.

ومن ذلك ما ذكره موسى بن جعفر بن وهب البغدادي أنّه خرج من أبي محمّد عليه السلام توقيع: زعموا أنّهم يريدون قتلي ليقطعوا هذا النسل، وقد كذّب اللّه عزّ وجلّ قولهم».[1]

(1) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة 407.

من وكلاء الإمام العسكري عليه السلام

عثمان بن سعيد العمري:

كان وكيل الإمام علي الهادي، ثم صار وكيل الإمام العسكري عليهما السلام وسيبقى إلى زمان الإمام المهدي ليصبح أول سفرائه الخاصين في فترة الغيبة الصغرى، وقد وصفه الإمام العسكري بأوصاف جليلة تنبئ عن علو مرتبته فقد روى أحمد بن إسحاق بن سعد القمي رواية بيّن فيها وكالة عثمان عن الإمام الهادي إلى أن قال: «فلما مضى أبو الحسن (الهادي) عليه السلام وصلتُ إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري ذات يوم فقلت له مثل قولي لأبيه فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه».[1]

أحمد بن إسحاق الأشعري القمي:

عدّه شيخ الطائفة من خواصّ الإمام الحسن العسكري، وكان يعتبر زعيم القميين ووافدهم، ويظهر من توليه الأوقاف أنه

(1) الطوسي: الغيبة 354.

كان محترمًا من الجهات الرسمية، بالإضافة إلى تأليفه عددًا من الكتب. فقد قال الشيخ الطوسي عنه: «أحمد بن إسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري، أبو علي، كبير القدر، وكان من خواص أبي محمد عليه السلام، ورأى صاحب الزمان عليه السلام وهو شيخ القميين ووافدهم. وله كتب، منها: كتاب علل الصلاة، كبير، ومسائل الرجال لأبي الحسن الثالث عليه السلام»

وقد مرَّ في صفحات سابقة قسم من الأخبار التي رواها والحوادث التي حضرها.

علي بن جعفر الهماني البرمكي

كان وكيلًا للإمام الهادي ثم لابنه الحسن العسكري وكان مرضِيًّا عندهما، ويظهر أن نشاطه كان على مستوى كبير جدًا ويظهر ذلك من أمر الإمام له بمائتي ألف دينار!! لينفقها في قضاياه، وهذا المبلغ يعتبر في ذلك اليوم ضخمًا للغاية، ولهذا استنكر بعض شيعة الإمام عليه تلك النفقات فكتب رقعة للإمام العسكري كأنه يشكوه! فوقع الإمام في رقعته: «قد كنا أمرنا له بمائة ألف دينار، ثم أمرنا له بمثلها فأبى قبوله إبقاءً علينا. ما للناس والدخول في أمرنا فيما لم ندخلهم فيه، قال: ودخل على أبي الحسن العسكري عليه السلام، فأمر له بثلاثين ألف دينار».[1]

(1) المصدر نفسه 350.

وقد يكون لهذا السبب من نشاطه وموقعه في الطائفة وعند الإمام الهادي فقد تم سجنه من قبل السلطة، تحت عنوان أنه وكيل للإمام، ولم يكن يُتوقَّع الإفراج عنه لولا دعاء الإمام عليه السلام له وتدخل يد الغيب..[1]

وبالتأمل في نص رسالة أرسلها الإمام العسكري لأحد وكلائه، يستطيع المتأمل أن يرى سعة دائرة التوجيه الذي تحتويه هذه الرسالة، ونحن وإن كنا لسنا في صدد شرح هذه الرسالة تفصيلاً إذ لا يتسع وضع هذا الكتاب ولا المساحة المتيسرة، إلا أننا سنشير ولو بنحو الفهرسة والعناوين الرئيسة لما جاء فيها، ثم نذكر نصها لمن أحب أن يتأمل في كلماتها:

عناوين رسالة الإمام العسكري لوكيله إسحاق بن إسماعيل النيشابوري

1/ يظهر أن رسالة الإمام وتوقيعه كان ردًّا على كتاب قد بعثه إسحاق بن إسماعيل ويظهر أنه قد جاء في ذلك الكتاب حصول بعض الإنجازات والنعم التي يسرها الله سبحانه

(1) الطوسي: اختيار معرفة الرجال 2/ 866: عن علي بن جعفر، قال: عرضت أمري على المتوكل، فأقبل على عبد الله بن يحيى بن خاقان، فقال له: لا تتعبن نفسك بعرض قصة هذا وأشباهه، فإن عمّك أخبرني أنه رافضيٌّ وأنه وكيلٌ علي بن محمد، وحلف ألّا يخرج من الحبس إلا بعد موته، فكتبت إلى مولانا أن نفسي قد ضاقت، وأني أخاف الزيغ، فكتب إلي: أما إذا بلغ الأمر منك ما أرى فسأقصد الله فيك، فما عادت الجمعة حتى أخرجت من السجن.

لشيعة آل البيت. فكان من الطبيعي أن يشكر الإمام ربه على إحسان الله لموالي آل محمد، ويصرح بسروره لأجل ذلك. ويبين بأن النعمة الكبرى هي في الحصول على الجنة، وأن أي نعمة فإن الحمد لله يقوم بجزائها.

ويشير هذا أيضًا إلى أن من الوظائف الطبيعية لوكلاء الأئمة المعصومين أن يوافوهم بما حصل لهم من نعم، وما تعرضوا له من مشاكل حتى يصل إليهم التوجيه المناسب من الإمام.

2/ لهذا الغرض فإن الإمام عليه السلام قد نبّه إسحاق إلى بعض الأخطاء التي ارتكبت أيام أبيه الإمام الهادي واستمرت إلى أيامه هو عليه السلام، محذرًا من تكرارها، بقوله «ولقد كانت منكم أمورٌ في أيام الماضي عليه السلام إلى أن مضى لسبيله، صلى الله على روحه، وفي أيامي هذه كنتم بها غير محمودي الشأن ولا مسددي التوفيق».[1]

3/ وفيما يتصاعد أسلوب العتاب إلى أشده بالنسبة لمن أخطأ الطريق مصرًّا، وصدف عن ولاية الأئمة المعصومين مع النص عليهم من النبي الكريم! «فأين يتاه بكم وأين تذهبون؟

(1) الإشارة لرسالة الإمام الهادي وأنه كان يحصل التداخل في المهمات، أو أن بعضهم كان يأتي بالمال للإمام نفسه، وأحيانا يتحزب بعضهم لبعض الوكلاء على البعض الآخر.

كالأنعام على وجوهكم عن الحق تصدفون، وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون، أو تكذبون، ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم ومن غيركم إلا خزي في الحياة الدنيا الفانية، وطول عذاب الآخرة الباقية، وذلك والله الخزي العظيم» والظاهر أنه ليس المقصود من هذه العبارات شيعة آل محمد فإنهم لا تنطبق عليهم الصفات الواردة بل بالعكس.

ولذلك فلا نعتقد صحة ما ذهب إليه المرحوم الشيخ آصف محسني من التشكيك[1] في صدور هذه الكلمات لشدّتها وقسوتها، فإن من الواضح أنه على طريقة (إياك أعني واسمعي يا جارة) وكم له من نظائر في القرآن والحديث.

4/ نجد أيضًا في هذه الرسالة بيانا لفلسفة الفرائض الدينية، فإن العبد إذا عرفها أمكن أن يأتي بها بالنحو الأفضل ويقبل عليها بما ينبغي، فإن الله لم يفرضها لحاجته إليها، ولا افتقاره لها وإنما لرحمته للخلق، فبها يتميز الطيب ويتكامل ويعرف المقصر حد نفسه وبها تتفاضل الدرجات بين الخلائق. والعبادات منها ما يرتبط بالبدن ومنها ما يرتبط بالمال ومنها

(1) المحسني؛ الشيخ محمد آصف: معجم الأحاديث المعتبرة 2/ 310.

ما يرتبط بالقلب، كالصوم والصلاة والحج والزكاة ولم ينسَ الإمام أن يذكر بالولاية كفريضة من الفرائض بل من أهمّها، إذ لولا ولاية الناس واتباعهم للرسول المصطفى والأوصياء لكانوا حيارى كالبهائم ولهذا لما «منَّ عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل لنبيه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] وفرض عليكم لأوليائه حقوقًا أمركم بأدائها إليهم» وطليعة تلك الحقوق ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.[2]

5/ ولا تشير الرسالة إلى الحادثة التي حصلت، لكن يستفاد من مواضع أخر[3] أن الإمام عليه السلام كان قد وكّل إبراهيم بن عبدة النيشابوري بأن يقبض حقوق الإمام من أهالي تلك المنطقة، فتم التشكيك فيه من قبل بعضهم ـ على عادة من لا يستجيب فيبدأ بالتشكيك في أصل الأمر[4] ثم يبدأ بالتشكيك في الوكيل

(1) المائدة: 3.

(2) الشورى: 23.

(3) ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن حمدويه البيهقي: وبعد فقد بعثت لكم إبراهيم بن عبده، ليدفع النواحي ـ وأهل ناحيتك ـ حقوقي الواجبة عليكم إليه، وجعلته ثقتي وأميني عند موالي هناك، فليتقوا الله، وليراقبوا، وليؤدوا الحقوق فليس لهم عذر في ترك ذلك، ولا تأخيره، ولا أشقاهم الله بعصيان أوليائه، ورحمهم الله ـ وإياك معهم ـ برحمتي لهم، إن الله واسع كريم «.

(4) نجد نماذج لهم في هذه الأزمنة فهو لأنه لا يريد دفع الخمس الشرعي يبدأ بالتشكيك في ثبوت أدلته! فهو يقلد مرجعه في كل شيء من الصوم والصلاة والحج من دون مطالبة بالدليل، فإذا =

وأنه هل هو مكلف من الإمام نفسه أو لا؟ وهل يلزم أن نثق به؟ وهكذا يصنع هؤلاء جوًّا من التشويش والفوضى يفسد صفو الناس! فأرسل الإمام مرة أخرى كتابًا آخر بيد رسول آخر يزكي إبراهيم ويؤكد وكالته، ويؤكد أن تصرفاته ممضاة من جهة الإمام.

ويؤكد الإمام فيها أن قيامه بذلك إنما هو جزء من مسؤوليته، وهو من نعمة الله عليهم، وإلا لكان الأمر كما قال جده أمير المؤمنين «لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها»[1] وهنا يقول الإمام العسكري عليه السلام «ولولا ما يجب من تمام النعمة من الله عز وجل عليكم: لما أريتكم لي خطا ولا سمعتم مني حرفًا من بعد الماضي - والده الهادي - عليه السلام».

ولا ينبغي أن يتصور هؤلاء أن الإمام يركض وراء أموالهم! وإنّما ﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[2] وأن ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[3] وإلا فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

= وصلت المسألة للمال طلب الدليل وناقش فيه وكأنه مجتهد واصل! فإذا تم الدليل شكك في مصارفه وأين تذهب هذه الأموال؟ والحقيقة هي ما قاله القرآن ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: 9].

(1) خطب الإمام علي عليه السلام: نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح ص 50.

(2) التوبة: 103.

(3) محمد: 38.

(4) البقرة: 115.

6/ وتركز الرسالة في ختامها على توجيهات للناس بأن يلتفوا حول إبراهيم بن عبدة وكيل الإمام، وأن يلتزموا بما جاء فيها، وأما إبراهيم فليلتزم بما جاءه في الرسالة التي حملها إليه من الإمام، رسوله الثاني محمد بن موسى النيسابوري، وكل من قرأ هذا الكتاب واطلع عليه فهو مكلف أن يؤدي حقوقه الواجبة لإبراهيم بن عبدة فإنه ممثل للإمام ووكيل عنه.. ولا حاجة إلى السؤال والمراجعة بعد ذلك.

وكما ذكرنا فإن هذه الرسالة فيها مواضع للتأمل والتفكير يستطيع الباحث أن يستكشف منها أفكارًا كثيرة ويتعرف من خلالها على خريطة الوكلاء وطريقة عملهم وعلى مواقف أبناء المجتمع من قضية الوكالة.

وأما نص رسالته عليه السلام فها هي:

خرج لإسحاق بن إسماعيل من أبي محمد عليه السلام توقيع:

«يا إسحاق بن إسماعيل سترنا الله وإياك بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه، قد فهمت كتابك يرحمك الله، ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيتٍ نرِقّ على موالينا، ونُسَر بتتابع إحسان الله إليهم وفضله لديهم، ونعتد بكل نعمة ينعمها الله عز وجل عليهم.

فأتم الله عليكم بالحق ومن كان مثلك ممن قد رحمه الله، وبصره بصيرتك ونزع عن الباطل ولم يعم في طغيانه نعمه. فان تمام النعمة دخولك الجنة، وليس من نعمة وأن جل أمرها وعظم خطرها إلا والحمد لله تقدست أسماؤه عليها مؤدى شكرها.

وأنا أقول الحمد لله مثل ما حمد الله به حامد إلى أبد الأبد، بما مَنّ عليك من نعمة، ونجاك من الهلكة وسهل سبيلك على العقبة، وأيم الله أنها لعقبة كؤود شديد أمرها صعب، مسلكها عظيم، بلاؤها طويل، عذابها قديم في الزبر الأولى ذكرها.

ولقد كانت منكم أمورٌ في أيام الماضي عليه السلام إلى أن مضى لسبيله، صلى الله على روحه، وفي أيامي هذه كنتم بها غير محمودي الشأن ولا مسددي التوفيق.

واعلم يقينًا يا إسحاق أن من خرج من هذه الحياة أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا، انها يا بن إسماعيل ليس تعمى الأبصار لكن تعمى القلوب التي في الصدور. وأيّةُ آيةٍ يا إسحاق أعظم من حجة الله عز وجل على خلقه وأمينه في بلاده وشاهده على عباده، من بعد ما سلف من آبائه الأولين من النبيين وآبائه الآخرين من الوصيين عليهم أجمعين رحمة الله وبركاته.

فأين يتاه بكم وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم عن الحق

تصدفون، وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون، أو تكذبون، ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم ومن غيركم إلا خزي في الحياة الدنيا الفانية، وطول عذاب الآخرة الباقية، وذلك والله الخزي العظيم.

ان الله بفضله ومَنّه لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض عليكم لحاجة منه إليكم، بل برحمة منه لا إله إلا هو عليكم، ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، ولتتسابقوا إلى رحمته، وتتفاضل منازلكم في جنته.

ففرض عليكم الحج والعمرة وأقام الصلاة وايتاء الزكاة والصوم والولاية، وكفاهم لكم بابًا، لتفتحوا أبواب الفرائض، ومفتاحًا إلى سبيله، ولولا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأوصياء من بعده: لكنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضًا من الفرائض، وهل تدخل قرية إلا من بابها؟ فلما من عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل لنبيه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] وفرض عليكم لأوليائه حقوقا أمركم بأدائها إليهم، ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومآكلكم ومشاربكم ومعرفتكم بذلك النماء والبركة والثروة

(1) المائدة: 3.

وليعلم من يطيعه منكم بالغيب قال الله عز وجل ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾.[1]

واعلموا أن من يبخل فإنما يبخل على نفسه، وأن الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه، لا إله إلا هو، ولقد طالت المخاطبة فيما بيننا وبينكم فيما هو لكم وعليكم، ولولا ما يجب من تمام النعمة من الله عز وجل عليكم: لما أريتكم لي خطًّا ولا سمعتم مني حرفًا من بعد الماضي عليه السلام، أنتم في غفلة عما إليه معادكم، ومن بعد الثاني رسولي وما ناله منكم حين أكرمه الله بمصيره إليكم، ومن بعد إقامتي لكم إبراهيم بن عبده، وفقه الله لمرضاته، وأعانه على طاعته، وكتابي الذي حمله محمد بن موسى النيسابوري، والله المستعان على كل حال.

واني أراكم تفرطون في جنب الله فتكونون من الخاسرين، فبعدًا وسحقا لمن رغب عن طاعة الله ولم يقبل مواعظ أوليائه، وقد أمركم الله جل وعلا بطاعته، لا إله إلا هو، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبطاعة أولي الأمر عليهم السلام، فرحم الله ضعفكم وقلة صبركم عما أمامكم.

فما أغر الإنسان بربه الكريم، واستجاب الله دعائي فيكم

(1) الشورى: 23.

وأصلح أموركم على يدي، فقد قال الله جل جلاله: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ ﴾[1] وقال جل جلاله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾[2] وقال الله جل جلاله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾.[3]

فما أحب أن يدعو الله جل جلاله بي ولا بمن هو في أيّامي إلا حسب رقتي عليكم، وما انطوى لكم عليه من حب بلوغ الأمل في الدارين جميعًا، والكينونة معنا في الدنيا والآخرة.

فقد يا إسحاق يرحمك الله ويرحم من هو وراءك بينت لك بيانًا وفسرت لك تفسيرًا، وفعلت بكم فعل من لم يفهم هذا الأمر قط ولم يدخل فيه طرفة عين، ولو فهمت الصم الصلاب بعض ما في هذا الكتاب لتصدعت قلقًا خوفًا من خشية الله ورجوعًا إلى طاعة الله عز وجل.

فاعملوا من بعد ما شئتم، ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4] ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[5] والحمد لله كثيرًا رب العالمين.

---

(1) الإسراء: 71.

(2) البقرة: 143.

(3) آل عمران: 110.

(4) التوبة:105.

(5) الأعراف:128.

وأنت رسولي يا إسحاق إلى إبراهيم بن عبده وفقه الله، أن يعمل بما ورد عليه في كتابي مع محمد بن موسى النيسابوري إن شاء الله، ورسولي إلى نفسك، وإلى كل من خلفك ببلدك، أن يعملوا بما ورد عليكم في كتابي مع محمد بن موسى إن شاء الله، ويقرأ إبراهيم بن عبده كتابي هذا ومن خلفه ببلده، حتى لا يسألوني، وبطاعة الله يعتصمون، والشيطان بالله عن أنفسهم يجتنبون ولا يطيعون. وعلى إبراهيم بن عبده سلام الله ورحمته، وعليك يا إسحاق وعلى جميع موالي السلام كثيرًا، سدد كم الله جميعًا بتوفيقه، وكل من قرأ كتابنا هذا من موالي من أهل بلدك، ومن هو بناحيتكم، ونزع عما هو عليه من الانحراف عن الحق: فليؤد حقوقنا إلى إبراهيم بن عبده، وليحمل ذلك إبراهيم بن عبده إلى الرازي رضي الله عنه، أو إلى من يسمي له الرازي، فان ذلك عن أمري ورأيي ان شاء الله».[1]

(1) الطوسي: اختيار معرفة الرجال 2/ 847.

مواقف الحكام العباسيين من الإمام العسكري

لكي تكون خريطة الحاكمين الذين عاصرهم الإمام العسكري عليه السلام واضحة، ويكون ذلك تمهيدًا للحديث عن مواقفهم تجاهه، نقول:

بعد أن وُلد لهارون الرشيد كلٌّ من الأمين والمأمون والمعتصم، انتهت سلطة الخلافة إلى المعتصم ليورثها أولاده الثلاثة (هارون الواثق وجعفر المتوكل وأحمد المستعين).

ولم يعاصر الإمام العسكري - في أيام إمامته الفعلية - أيًّا من المعتصم أو أبنائه الثلاثة المباشرين: الواثق والمتوكل والمستعين، وإنما أدرك أبناءهم.

فقد عاصر أيام حكم الزبير بن المتوكل (الملقب بالمعتز) والذي حكم من سنة (252هـ إلى 255) بعد أن انقلب على عمِّه المستعين بمساعدة الأتراك، ومع أن هذا المستعين خلع نفسه عن الحكم وبايع المعتز إلا أن هذا لم يُقنِع المعتز فما لبث بعد فترة قصيرة أن قتله.

وباعتبار أن إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام الفعلية قد بدأت بشهادة أبيه في سنة 254هـ فيكون قد عاصر المعتز مدة سنتين أو نحوها.

إلا أن المعتز (الزبير بن المتوكل) ما لبث أن شرب من نفس الكأس التي سقاها عمه المستعين، وبالفعل فقد خلعه الأتراك وأجبروه على التنازل عن الخلافة، ومع أنه فعل ذلك إلا أنه قُتِل أيضًا! ليولي الأتراك بعده المهتدي بن الواثق بدءًا من سنة 255هـ.

المهتدي بن الواثق هذا كان أقل حظًّا من سابقيه إذ لم يستمر رضا الميليشيا التركية العسكرية عليه إلا أقل من سنة فما جاء شهر رجب 256هـ إلا وقد قتله الأتراك.

ليأتي بعده (المعتمِد) أحمد بن المتوكل وهذا قد طالت مدته من (256 إلى 279هـ) وفي أيامه السيئة كانت شهادة الإمام العسكري عليه السلام بالسم بتخطيط المعتمد.

فإذن تكون سنوات إمامة العسكري عليه السلام الست هي في عهود ثلاثة من خلفاء العباسيين[1]: المعتز (252 ـ 255هـ) وقد ورد ذكره

(1) ومنه نعلم أن ما جاء في بعض الروايات لا بد أن يكون اشتباها مثلما ورد في أن الإمام العسكري قال إني نازلت الله في هذا الطاغي ـ يعني المستعين.. كما نقلها شيخ الطائفة الطوسي، إما أن يكون التفسير بالمستعين اشتباهًا، ولعله كان المعتز العباسي بقرينة روايات أخر «مثل رواية كشف الغمة: من دلائل الحميري حدث محمد بن علي الصيمري قال: دخلت على أبي أحمد =

في بعض الروايات بعنوان الزبيري. والمهتدي (255 ـ 256هـ) والمعتمِد (256 ـ 279هـ).

1/ **درجات وألوان العنف العباسي تجاه الإمام**: نشير إلى ما ذكرناه في بحث الظواهر المشتركة بين الإمامين العسكريين، من أن عمر الإمام الحسن العسكري كان قصيرًا ومدة إمامته كانت قصيرة جدًا، وأنه سجن في فترة إمامته القصيرة (وهي 6 سنوات) عدة مرات، إن ذلك ليشير إلى شدة العنف السلطوي من العباسيين، وهو الطابع العام للخلفاء. بحيث انتهى إلى قتله عليه السلام بالسم.

ويتبيّن من روايات متعددة إلى أشكال هذا العنف من التهديد بالقتل إلى الإيذاء باعتقال الأصحاب والأتباع بل سجن الإمام نفسه، وانتهاء بقتله مسمومًا كما سيأتي، «ويقوم الحسن بن عليّ الحادي عشر من الأئمّة عليهم السلام، ويشكو إلى جدّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وما لقيه من المعتزّ، وهو الزبير بن جعفر المتوكّل، ومن أحمد ابن فتيان ـ اسم والدته ـ وهو المعتمد..»[1]

= عبيد الله بن عبد الله وبين يديه رقعة أبي محمد فيه: إني نازلت الله في هذا الطاغي يعني الزبيري وهو آخذه بعد ثلاث فلما كان في اليوم الثالث فعل به ما فعل»، أو أن يكون القائل هو الإمام الهادي لا العسكري، لما ذكرنا.

(1) الخزعلي؛ أبو القاسم: موسوعة الإمام العسكري 1/ 163.

وسيأتي ذكر ما قام به المعتمد من تسميم الإمام بالفعل والقضاء عليه. وأما المعتز فهناك رواية ينقلها السيد ابن طاووس في كتابه مهج الدعوات تشير إلى محاولة اغتيال بشكل آخر، فإنه كان على هذا الأساس أن يأخذه قائد عسكري من أعوان المعتز، ويذهب به إلى الكوفة ويقتله في الطريق قبل دخول الكوفة، لكن إرادة الله وحفظه وليه منع من ذلك «قال أخبرني أبو الهيثم بن سبابة أنه لما كتب إليه لما أمر المعتز بدفعه إلى سعيد الحاجب عند مضيه إلى الكوفة وأن يحدث ما تحدث به الناس بقصر بن هبيرة جعلني الله فداك بلغنا خبر قد أقلقنا وبلغ منّا! فكتب إليه عليه السلام: بعد ثلاثة يأتيكم الفرج فخلع المعتز يوم الثالث».[1]

وكانت محاولة الاغتيال تلك من المعتز التي انتهت بهلاكه، تتويجا لسلسلة من الممارسات الخبيثة له تجاه الإمام العسكري بل وأبيه الهادي عليهما السلام، فنحن نرى في نصٍّ من النصوص المروية[2]

(1) ابن طاووس؛ السيد علي: مهج الدعوات ومنهج العبادات ص 286.

(2) الخزعلي: موسوعة الإمام الهادي عليه السلام 1/ 259.عن أحمد بن داود القمّي، ومحمّد بن عبد اللّه الطلحي، قالا: حملنا مالًا اجتمع من خمس، ونذر، وعين، وورق، وجوهر، وحليّ، وثياب من قمّ وما يليها، فخرجنا نريد سيّدنا أبا الحسن عليّ بن محمّد (الهادي) عليه السلام فلمّا صرنا إلى دسكرة الملك، تلقّانا رجل راكب على جمل ونحن في قافلة عظيمة، فقصدنا ونحن سائرون في جملة الناس، وهو يعارضنا بجملة، حتى وصل إلينا وقال: يا أحمد بن داود! ومحمّد بن عبد اللّه الطلحي! معي رسالة إليكما.
فقلنا: ممّن، يرحمك اللّه!؟ =

عن الإمام العسكري ﷺ في يوم شهادة أبيه وأول يوم إمامته هو أنه أمر شيعته القادمين من قم ومعهم بعض الحقوق المالية الشرعية أن يرجعوا بها لأن الطاغية قد بث جواسيسه وعيونه في كل مكان، والإمام يخشى عليهم في ذلك.

ويظهر من النص السابق الذي ذكر شكوى الإمام يوم القيامة، من اثنين من الخلفاء: المعتز والمعتمِد، وكأنه ترك فيه ذكر المهتدي وربما يكون ذلك لقصر المدة التي حكم فيها حيث قيل إنها أقل من سنة، بالرغم من أنه ـ ولو على مستوى التهديد ـ كان يريد أن يقتل الإمام ﷺ، وسجنه وسجن بعض أصحابه، كما يستفاد من رواية للمسعودي في إثبات الوصية: «عن أبي هاشم

= قال: من سيّدكما أبي الحسن عليّ بن محمّد ﷺ يقول لكما: أنا راحل إلى اللّه في هذه الليلة، فأقيما مكانكما حتّى يأتيكما أمر ابني أبي محمّد الحسن (العسكري) ﷺ، فخشعت قلوبنا وبكت عيوننا وأخفينا ذلك ولم نظهره، ونزلنا بدسكرة الملك واستأجرنا منزلًا وأحرزنا ما حملناه فيه، وأصبحنا والخبر شائع في الدسكرة بوفاة مولانا أبي الحسن ﷺ.

فقلنا: لا إله إلّا اللّه، أترى (الرسول) الذي جاء برسالته أشاع الخبر في الناس، فلمّا أن تعال النهار رأينا قومًا من الشيعة على أشدّ قلق ممّا نحن فيه، فأخفينا أثر الرسالة ولم نظهره.

فلمّا جنّ علينا الليل جلسنا بلا ضوء حزنًا على سيّدنا أبي الحسن ﷺ، نبكي، ونشتكي إلى اللّه فقده، فإذا نحن بيد قد دخلت علينا من الباب، فأضاءت كما يضيء المصباح، وقائل يقول: يا أحمد! يا محمّد! [خذا] هذا التوقيع، فاعملا بما فيه، فقمنا على أقدامنا وأخذنا التوقيع، فإذا فيه: بسم اللّه الرحمن الرحيم، من الحسن المستكين للّه ربّ العالمين، إلى شيعته المساكين، أمّا بعد فالحمد للّه على ما نزل بنا منه، ونشكر إليكم جميل الصبر عليه، وهو حسبنا في أنفسنا وفيكم ونعم الوكيل، ردّوا ما معكم، ليس هذا أوان وصوله إلينا، فإنّ هذا الطاغية قد بثّ عسسه وحرسه حولنا، ولو شئنا ما صدّكم، وأمرنا يرد عليكم..

قال: كنت محبوسًا عند أبي محمد في حبس المهتدي، فقال لي: يا أبا هاشم ان هذا الطاغية أراد أن يعبث بأمر اللّه تعالى في هذه الليلة وقد بتر اللّه عمره وجعله للمتولي بعده، وليس لي ولد وسيرزقني اللّه ولدًا بمنّه ولطفه. فلما أصبحنا شغبت الأتراك على المهتدي وأعانهم العامة لما عرفوا من قوله بالاعتزال والقدر، فقتلوه ونصبوا مكانه المعتمد وبايعوا له، وكان المهتدي قد صحح العزم على قتل أبي محمد فشغله اللّه بنفسه حتى قتل ومضى إلى أليم عذاب اللّه».[1]

ولئن حاولت كتب التاريخ الرسمي تزيين صورته وتلميع سيرته، فذلك لا ينفع فإنه مع قصر مدة خلافته كان يُظهِر أنه سينفي شيعة الإمام ويجليه هو عن جديد الأرض كما قال، فكانت إرادة الله سبحانه في أن يُخلَع من الحكم ويقتَل بصورة مهينة،[2] وذلك جزاء أعداء أولياء الله وهو ما أخبر عنه الإمام العسكري عليه السلام. يقول أحد أصحابه: «كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام

(1) المسعودي: إثبات الوصية 252

(2) ينقل المؤرخون قصة المواجهة بينه وبين الأتراك الذين استقدمهم آباؤه لحماية السلاطين فصاروا إلْبًا عليهم وشوكة في حلوقهم، قالوا: «فانهزم الخليفة فعاجله أحمد بن خاقان فرماه بسهمٍ في خاصرتِه، ثم حُمل على دابةٍ وخَلْفَه سائسٌ وعليه قميصٌ وسراويل حتى أدخلوه دار أحمدَ بن خاقان، فجعل من هناك يصفعونَه ويبزقون في وجهِه، وسلَّموه إلى رجلٍ، فلم يزل يجأُ خصيتيه ويطأُهما حتى مات وكانت خلافتُه أقلَّ مِن سنة بخمسة أيام». لتفصيل ذلك راجع البداية والنهاية لابن كثير والكامل في التاريخ لابن الأثير وغيرهما.

حين أخذ المهتدي في قتل الموالي: يا سيّدي! بلغني أنّه يتهدّدك ويقول: واللّه! لأجلينّهم عن جديد الأرض.

فوقّع أبو محمّد عليه السلام بخطّه: ذاك أقصر لعمره، عدّ من يومك هذا خمسة أيّام ويقتل في اليوم السادس بعد هوانٍ واستخفافٍ يمرّ به، فكان كما قال عليه السلام». [1]

ومن صور الإيذاء التي كانت السلطة العباسية تمارسها تجاه الإمام العسكري إلزامه بالحضور مرتين في الأسبوع إلى قصر الخلافة: فكان يجب أن يأتي كل يوم اثنين وخميس.

وهذه الوسيلة لا تزال بعض السلطات الظالمة تستخدمها مع المؤمنين والعلماء، بحيث يجب أن يأتي ذلك المؤمن أو العالم الوجيه إلى مقر دائرة الأمن أو الشرطة أو ديوان الحاكم.. ويبقى وقتًا غير محدد لا لشيء محدد، ثم ينصرف متى أُذن له!

بهذه الطريقة يتم إهانة الشخص وخاصة إذا كان من الشخصيات الاجتماعية المهمة، ويتم تعطيله عن أسفاره، إذ لا يستطيع سفرًا أكثر من ثلاثة أيام، وبالنسبة لتلك الأزمنة فإن الأمر يكون أصعب!

وهو نوع رقابة دائمة عليه، عندما يكون ملزمًا بالحضور على الأقل مرتين اسبوعيًّا.

(1) الكليني الكافي 1/ 510 والمسعودي في اثبات الوصية 250.

وقد تعرضنا في فصل: من الميلاد إلى الاستشهاد إلى اعتقال الإمام وسجنه المتعدد في الأدوار المختلفة فليراجع هناك.

2/ **كفاءة الإمام فرضت نفسها على البلاط العباسي**: فرض الإمام العسكري عليه السلام بما لديه من مقومات وكفاءة شخصيته على السلطة ورجالها، في أيام الخلفاء جميعًا وما ظهر منهم من الاعتراف له والثناء عليه لا يشكل إلا قسمًا قليلًا مما كانوا يشعرون به، ولكنهم إذا أمنوا الضرر ـ بالنسبة لمن دون الخليفة ـ أو رأوا في ذلك مصلحة كما هو حال الخليفة أحيانًا، فإنهم يعبرون عن إعجابهم بشخصية الإمام عليه السلام. وهذا لا ينفرد به الإمام العسكري وحده وإنما هو ثابت لجميع الأئمة عليهم السلام، فإن الله «اصطفاهم بعلمه واختارهم لسره وخصهم بهداه».[1] وكان من الطبيعي أن يحصل لهم ذلك الإعجاب وأكثر منه، سواء من موافقيهم أو مخالفيهم.

وذلك ما يذكر عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان ووالده[2] كان بمثابة الوزير الأول في أيام المعتمِد العباسي حيث كان يقول: «ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى رجلًا من العلوية مثل الحسن بن

(1) من الزيارة الجامعة الكبيرة للمعصومين عليهم السلام.

(2) عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وزير المعتمد من سنة 256هـ توفي 263هـ.

علي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام، ولا سمعت به في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته والسلطان وجميع بني هاشم، وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر، وكذلك القواد والوزراء والكتاب وعوام الناس فإني كنت قائمًا ذات يوم على رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس إذ دخل عليه حجابه فقالوا له: إن ابن الرضا على الباب![1]

فقال بصوت عال: ائذنوا له.

فدخل رجل أسمر أعيَن حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن حدث السن، له جلالة وهيبة، فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطًى ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم ولا بالقواد ولا بأولياء العهد، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه ومنكبيه وأخذ بيده فأجلسه على مصلاه الذي كان عليه، وجلس إلى جنبه، مقبلًا عليه بوجهه، وجعل يكلمه ويكنيه، ويفديه بنفسه وبأبويه، وأنا متعجب مما أرى منه إذ دخل عليه الحجاب فقالوا: الموفق[2] قد جاء، وكان الموفق إذا جاء ودخل على أبي تقدم حجابه وخاصة قواده، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل

(1) كان كل من الإمام الجواد والهادي والعسكري يعرف بابن الرضا.

(2) أخو الخليفة المعتمد وقائد عسكري.

ويخرج، فلم يزل أبي مقبلًا عليه يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة.

فقال حينئذ: إذا شئت فقم جعلني الله فداك يا أبا محمد، ثم قال لغلمانه: خذوا به خلف السماطين كيلا يراه الأمير ـ يعني الموفق ـ فقام وقام أبي فعانقه وقبل وجهه ومضى، فقلت لحجاب أبي وغلمانه: ويلكم من هذا الذي فعل به أبي هذا الذي فعل؟ فقالوا: هذا رجل من العلوية يقال له: الحسن بن علي يعرف بابن الرضا، فازددت تعجبًا، فلم أزل يومي ذلك قلقًا متفكرًا في أمره وأمر أبي وما رأيت منه حتى كان الليل وكانت عادته أن يصلى العتمة، ثم يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه إلى السلطان.

فلما صلى وجلس جئت فجلست بين يديه فقال: يا أحمد ألك حاجة؟ فقلت: نعم يا أبة إن أذنت سألتك عنها؟ فقال: قد أذنت لك يا بني فقل ما أحببت فقلت له: يا أبة من كان الرجل الذي أتاك بالغداة وفعلت به ما فعلت من الإجلال والإكرام والتبجيل، وفديته بنفسك وبأبويك؟

فقال: يا بني ذاك إمام الرافضة، ذاك ابن الرضا، فسكت ساعة فقال: يا بني لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العباس ما استحقها

أحد من بني هاشم غير هذا، فان هذا يستحقها في فضله وعفافه وهديه وصيانة نفسه وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه لرأيت رجلًا جليلًا نبيلًا خيّرًا فاضلًا، فازددت قلقًا وتفكرًا وغيظًا على أبي مما سمعت منه فيه ولم يكن لي همة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره، والبحث عن أمره، فما سألت عنه أحدًا من بني هاشم ومن القواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه وغيرهم وكل يقول: هو إمام الرافضة، فعظم قدره عندي إذ لم أر له وليًّا ولا عدوًّا إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه.»[1]

ونركز من هذه القصة على الجملة الأخيرة فيها وهي قوله: «فما سألت عنه أحدًا من بني هاشم ومن القواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلا وجدته عندهم في غاية الإجلال» يعني أن موقع الإمام ـ مع أنه عندهم هو إمام الرافضة كما قالوا ـ كان في غاية الإجلال والإعظام، ويستوي في ذلك الأسرة العباسية وعموم الهاشميين بل القادة العسكريون والقضاة والفقهاء.

لا يقال: إذا كان كذلك فلماذا ضايقوه وآذوه وحاولوا اغتياله؟

(1) الكليني: الكافي ـ دار الحديث ـ 2/ 618.

لأننا نقول: هذا قد يكون أحد الأسباب، فإنهم كانوا بين أن يعترفوا له بالتقدم وأن ينزلوا له عن موضع القيادة وهذا ما لم يكن يخطر في بالهم أبدًا لأن «الملك عقيم ولو نازعتني أخذت الذي فيه عيناك» وبين أن يتخلصوا من منافس قوي ومؤهل كامل الأوصاف ينظر إليه الناس متفوقًا عليهم، وهذا هو الذي يتناسب مع حبهم للدنيا وتقاتلهم عليها. فإذا كان الواحد منهم لأجل ذلك قد يقتل أباه أو ابنه أو أخاه أو عمه، فهل تراهم سينزلون عن عروشهم لأجل أن الإمام أولى منهم بذلك؟

3/ **حضور موضوع الإمام المهدي في العلاقة:** لا ريب أن موضوع الإمام المهدي المنتظر كان حاضرًا عند الجميع، حيث يعرف الخلفاء العباسيون قبل غيرهم: أن المهدي المنتظر الذي هو من ولد فاطمة وذرية الحسين عليهما السلام هو الثاني عشر، وما دام الحسن العسكري هو الحادي عشر من الأئمة فهذا يعني أن ولده سيكون الثاني عشر وهو الذي سيزيل الجور والفساد والظلم، وهؤلاء الخلفاء يعلمون قبل غيرهم أي مقدار من الظلم والفساد يحصل منهم!

فكان من الطبيعي أن يفتشوا عنه وأن يسعوا لوأده قبل مجيئه إن استطاعوا وذلك باغتيال أبيه الحسن العسكري حتى يمنعوا ولادة الإمام المهدي، فإن لم يتيسر لهم ذلك قتلوه بعد ولادته.

ويظهر من الرواية التي نقلها المسعودي في إثبات الوصية هذا المعنى حيث أراد المهتدي بن الواثق أن يتخلص من الإمام بالقتل وبالتالي يمنع فرصة ولادة الإمام المهدي حيث قال الإمام لأبي هاشم الجعفري: «ان هذا الطاغية أراد أن يعبث بأمر اللّه تعالى في هذه الليلة وقد بتر اللّه عمره وجعله للمتولي بعده، وليس لي ولد وسيرزقني اللّه ولدًا بمنّه ولطفه».

وأمر الله وتقديره هو وجود وولادة الإمام المهدي، فكأن هذا الطاغية بتفكيره البائس أراد أن يغير مقادير الله وخطته في الكون بمنع وجود الإمام.

وأوضح منها ما روي عنه عندما ولد ابنه عليهما السلام في قوله: «زعمت الظلمة أنهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل، كيف رأوا قدرة الله».[1]

وكتب في أحد توقيعاته: «زعموا أنهم يريدون قتلي ليقطعوا هذا النسل وقد كذب الله عز وجل قولهم والحمد لله».[2]

وأما فيما بعد شهادة الإمام العسكري فإنهم وبتخطيط المعتمد العباسي سعوا بشكل حثيث للقبض على ابنه المهدي عليه السلام، فكان أن قاموا بتفتيش بيت الإمام بعد شهادته مباشرة، واستقصوا

(1) الطوسي: الغيبة 223.

(2) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة 407.

في البحث عنه وقاموا بالقبض على الجواري الموجودات في بيت الإمام ـ وهنا يتبين وجه الاستفادة من تعدد الأسماء في الجواري لإخفاء الأم الحقيقية للمهدي ـ وهنا قامت السيدة نرجس أم الإمام المهدي عليهما السلام بدور هو الغاية في التضحية والإيثار حيث ادعت الحمل،[1] فسجنت بأمر المعتمد حتى تضع حملها المزعوم وطالت المدة، بها حتى انشغلوا فيما بعد عن الأمر، بينما كان الإمام المهدي خلال هذه المدة قد بدأ إمامته وبدأ يتصل بوكلائه ويمارس مهمات أبيه.

وقد يأتي شيء من الحديث عما قامت به أم الإمام المهدي في بحث الحياة الأسرية للإمام العسكري.

(1) فذكر بعضهنّ أنّ هناك جارية بها حمل فجعلت في حجرة وكّل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم.

الحياة الأسرية للإمام العسكري عليه السلام

والدته المكرمة سليل:

مع أن الموضع الاعتيادي للحديث عن والدة الإمام العسكري ينبغي أن يكون في فصل الحياة الأسرية للإمام الهادي عليه السلام، وقد ذكرناها صلوات الله عليها هناك، لكن لما كانت بعض الأحداث المهمة المرتبطة بحياة ابنها الإمام العسكري عليه السلام فسنذكر شيئا منها هنا.

وقد ذكرنا فيما مضى بعض وجوه تعدد أسماء أمهات المعصومين ـ من الجواري ـ وأنها قد تكون لجهة زمانية فقبل أن تأتي إلى بيت الإمام يكون لها اسم، فإذا وصلت إلى بيت الإمام سمّاها باسم آخر استحسنه لها، وقد يكون ذلك لجهة أمنية يراد التستر عليها بواسطة تغيير الاسم، وهذا ما نجده في هذه الأزمنة بالنسبة للأشخاص الذين يحتمل أن يطارَدوا فإنهم يجعلون لهم أكثر من اسم، لأجل التعمية على أعدائهم، ونحن نعتقد أن هذه الجهة خصوصًا فيما يرتبط بالإمامين الهادي والعسكري أكثر وضوحًا.

فوالدة الإمام العسكري عليه السلام يرد اسمها على أنها: سَليل،[1] وأيضًا حديث، وسوسن أيضًا. ويظهر من الروايات أنها عليها السلام كانت مع ابنها العسكري في سامراء، وكانت في وسط الأحداث التي تجري على ابنها وشيعته، ولا شك أنها كانت تشعر بالقلق[2] من ممارسات الخلفاء العباسيين تجاه ابنها وحفيدها المهدي بعد شهادة زوجها الإمام الهادي عليه السلام، ونعتقد أنه لهذا السبب فقد أرسلها ابنها العسكري للحج ثم لتكون في المدينة المنورة،[3] ولعل هذا بالإضافة إلى إبعادها عن دائرة الضغط العباسي، كان للحفاظ عليها حيث ستكون أحد الأبواب الذين تخرج معارف الدين عبرهم من الإمام المهدي إلى الشيعة، وهذا ـ لعمري ـ منصب عظيم، يشير إلى علو مقامها ورفعة منزلتها. فقد سئلت حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام: إن توفّي الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى من تفزع الشيعة؟

(1) المسعودي: إثبات الوصية 244: لما أدخلت سليل أم أبي محمّد عليه السلام على أبي الحسن عليه السلام قال: سليل مسلولة من الآفات والعاهات والأرجاس والأنجاس.

(2) الخزعلي: موسوعة الإمام العسكري عليه السلام 1/ 48 عن أُمّ أبي محمّد عليه السلام قالت: قال لي يومًا من الأيّام: تصيبني في سنة ستّين ومائتين حزازة أخاف أن أنكب منها نكبة، قالت: فأظهرت الجزع وأخذني البكاء فقال: لابدّ من وقوع أمر اللّه، لا تجزعي، فلمّا كان في صفر سنة ستّين أخذها المقيم والمقعد، وجعلت تخرج في الأحايين إلى خارج المدينة.

(3) عبد الوهّاب؛ حسين بن: عيون المعجزات 127: أمر أبو محمّد عليه السلام والدته بالحجّ في سنة تسع وخمسين ومائتين، وعرّفها ما يناله في سنة ستّين .
وكذلك المسعودي في إثبات الوصية 255 بنفس النص.

قالت: إلى الجدّة أم أبي محمّد صلوات اللّه عليه[1] (يعني والدة الإمام العسكري) وبالفعل فقد بقيت إلى ما بعد شهادة ولدها العسكري.

نساؤه؛ السيدة نرجس:

المعروف أن الإمام العسكري عليه السلام كان له من النساء: السيدة نرجس وهي والدة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.. وقد ذكرنا فيما مضى من الصفحات أن هناك نظريتين بين العلماء في هذه السيدة الجليلة وانتمائها العرقي والنسبي.

الأولى: «تنتهي إلى أنها من بلاد الروم وأنها سبيت أو اختفت من جيش الروم الذي خرج لقتال المسلمين في تلك الفترة، وحين عرضت للشراء، كلف الإمام الحسن العسكري أحد شيعته وهو راوي الرواية، ويسمى بشر بن سليمان النخاس، وهو بحسب الرواية من أحفاد أبي أيوب الأنصاري صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويسوق رواية طويلة تنتهي إلى أن يشتري هذه الجارية، فتدخل في بيت الإمام العسكري وبالتالي تلد له ولده الوحيد محمد بن الحسن (المهدي)»

(1) الطوسي: الغيبة 230.

والنظرية الأخرى: تنتهي إلى أن نرجس هي جارية نوبية كانت لدى حكيمة بنت الإمام محمد الجواد، وأخت الإمام الهادي عليه السلام وولدت في بيتها وتربت على الإسلام، وحين بلغت مبلغ النكاح، وهبتها بأمر الإمام الهادي، لابن أخيها الإمام الحسن العسكري بعدما علمت رغبته فيها، وعلمه بأنها ستلد المولود المبارك الذي سيطهر الأرض من الفساد والجور».[1]

وقد عرض المحقق التستري للخلاف في النظريتين فقال: «واختلفت الأخبار أيضًا في كونها من جواري حكيمة الّتي ربّتها وأهدتها إلى العسكري عليه السلام أو من إسراء الروم واشتراها الهادي عليه السلام؟ والمفهوم من المسعودي الأوّل.

قال في الإثبات: روى لنا الثقات من مشايخنا: أنّ بعض أخوات أبي الحسن عليّ بن محمّد عليهما السلام كانت لها جارية ولدت في بيتها، وربّتها، تسمّى «نرجس» فلمّا كبرت وعبلت دخل أبو محمّد عليه السلام فنظر إليها فأعجبته، فقالت له عمّته: أراك تنظر إليها؟ فقال صلّى اللّه عليه: إنّي ما نظرت إليها إلّا متعجّبًا أما إنّ المولود الكريم على اللّه جلّ وعلا يكون منها، ثمّ أمرها أن تستأذن أبا الحسن عليه السلام في دفعها إليه، ففعلت فأمرها بذلك.

(1) آل سيف؛ فوزي: الإمام المهدي عدالة منتظرة..

وروى في خبر آخر عن جماعة من الشيوخ بإسنادهم عن حكيمة كيفيّة تولّده عليه السلام (إلى أن قال) قالت، فقلت له: ممّن يكون هذا المولود يا سيّدي؟ فقال: من جاريتك نرجس.

وروى الإكمال أيضًا في باب مولده عليه السلام بإسناده عن حكيمة قالت: كانت لي جارية يقال لها: «نرجس» فزارني ابن أخي فأقبل يحدق النظر إليها.

ومال الصدوق إلى الثاني، فقال في الإكمال باب «ما روي في نرجس أمّ القائم عليه السلام»: واسمها «مليكة» بنت يوشعًا بن قيصر الملك. وروى بإسناده عن بشر بن سليمان النخّاس بعث الهادي عليه السلام له بشرائها وهو خبر طويل، وإن روى في باب مولده عليه السلام ما يعارض هذا، كما تقدّم.

وهو المفهوم أيضًا من المفيد حيث ذكر زيارة لها وفيها: «المخطوبة من روح اللّه الأمين ومن رغب في وصلتها سيّد المرسلين» والظاهر أنّ الزيارة إنشاء منه أخذا من خبر النّخاس المتقدّم.

والظاهر أصحّيّة القول الأوّل وأصحّيّة خبره».[1]

(1) التستري: محمد تقي: رسالة في تواريخ الأئمة 62.

وقد ذكرنا في كتابنا الإمام المهدي بعد أن عرضنا بعض المناقشة للقولين أننا نميل إلى أن والدته عليها السلام هي نرجس وأنها كانت جارية حكيمة بنت الإمام الجواد، وضعفنا القول بكونها أسيرة من الروم وهو مفاد خبر بشر النخاس.. وهذا يتوافق مع ما ذكره المحقق التستري هنا.

ويفترض أن نكاح الإمام العسكري إياها كان قبل سنة 254هـ وأنها أنجبت في سنة 255هـ، آخر الأئمة المعصومين الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

معاناتها قبل وبعد شهادة الإمام العسكري:

وقد عاشت المعاناة مع زوجها الإمام العسكري عليه السلام، في حياته ورأت كيف عزل عن شيعته إلى الحد الذي أصبح السلام عليه أمرًا صعبًا بل خطرًا، كما رأت زوجها يساق إلى السجن والاعتقال مرارًا كما ذكرنا تفاصيل ذلك في الصفحات السابقة.

لكن معاناتها الكبرى كانت بعد شهادة الإمام العسكري، فما أن دفن الإمام عليه السلام في بيت والده، وانتهت المراسم الظاهرية التي أقامتها السلطة العباسية للتمويه والتعمية على جريمتها بقتل الإمام الشاب مسمومًا حتى جردت السلطة حملة تفتيش دقيق عنيفة لبيت الإمام العسكري، اقتحمت فيها الخيول بيته وكان معهم

جعفر (الكذاب) عم الإمام الذي لم يمنعه كون ذلك البيت بيت مصيبة والنساء الموجودات فيه ثواكل!

«وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل فجعلت في حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم».[1]

وفي تفصيل ذلك ودور جعفر الكذاب في مساعدة السلطة العباسية لمحاولة القبض على الإمام عليه السلام، نقل الشيخ الصدوق خبرًا يشير إلى ادعاء السيدة نرجس التي أصبح اسمها صقيل من قبل شهادة الإمام العسكري وتشير بعض الروايات إلى حضورها مع الإمام حين كان يكتب رسائله ووصاياه قبل شهادته بقليل، سوف تدعي صقيل الجارية (نرجس أم الإمام) أن بها حملًا حتى تشغلهم لبعض الوقت عن التفتيش والبحث عن ولدها الإمام المهدي الذي ولد منذ نحو خمس سنوات، فيقول الخبر هكذا: «فدخل جعفر (الكذاب) بن علي على المعتمد وكشف له ذلك، فوجه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية فطالبوها

(1) الكليني: الكافي ـ دار الحديث ـ 2/ 619.

بالصبي فأنكرته وادعت حبلًا بها لتغطي حال الصبي فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت عن أيديهم».[1]

ومعنى ذلك أنها عليها السلام بقيت في سجن العباسيين[2] وتحت نظر نساء القاضي ابن أبي الشوارب إلى سنة 263هـ وهي سنة موت عبيد الله بن خاقان، وترافقت أيضًا مع اشتداد حركة الزنج وسيطرتهم على مناطق واسعة فإنهم وإن كانت بدايتهم في سنة 255هـ إلا أن توسعهم كان في ما بعد ذلك إلى أن انتهت سنة 270هـ.

ولم تنته معاناتها عند هذا الأمر، فإننا نجد أنها بعدما «خرجت من أيديهم» نجد لها ذكْرًا من جديد في أنها سجنت أيام المعتضد العباسي (حكم بعد عمه المعتمد من سنة 280 ـ إلى 289هـ)، وبناء على النقل الذي انفرد به ابن حزم الأندلسي، فإنها سجنت من جديد نحو عشر سنوات إلى أن توفيت في زمان المقتدر العباسي (حكم بدءا من 295هـ).[3] ولم نفهم ماذا كان يقصد ابن حزم من

(1) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة 506.

(2) كان أحد أنحاء السجن عند العباسيين أن يسجن الشخص عندهم في قصورهم، في غرفة أو مكان منعزل، ويكون تحت رقابتهم الدائمة.

(3) الاندلسي؛ ابن حزم:الفصل في الملل والأهواء والنحل 4/ 77. قال: «وزادت فتْنَة الروافض =

تعبيره «وزادت فتنة الروافض بصيقل». ولعله يشير إلى أن ارتباط الشيعة بأم المهدي وحليلة العسكري كان قويًّا وكانوا يقبلون كلامها في مقابل جعفر الكذاب (أخي زوجها) والذي كان يسعى جاهدًا للحصول على ميراث أخيه العسكري (ويشيع بأنه لا ولد له) وعلى منصب الإمامة بعده، وكان بالنسبة للعباسيين الخيار الأنسب لتشتيت أتباع الإمامة، وتسفيه آرائهم لما كان معروفًا عنه من الانحراف. فكان وجود أم المهدي ومطالبتها بالميراث من جهة، وإخبارها أنها حامل ومعنى ذلك أنه لا ينبغي قسمة ميراثه حتى يولد الجنين المفترض، مزعجًا لجعفر الكذاب.

ولم يذكر المؤرخون عن وفاتها عليها السلام سوى أنها توفيت في زمان المقتدر.

كما لم يذكر للإمام العسكري زوجة غير السيدة نرجس والدة الإمام المهدي عليه السلام. نعم يأتي في بعض الروايات ذكر «جواريه في بيته» أو «حصل تفتيش للجواري» إلا أن هذا بمجرده لا يثبت نكاحه إياهن.

= بصقيل هَذِه ودعواها إِلَى أَن حَبسهَا المعتضد بعد نَيف وَعشْرين سنة من موت سَيِّدهَا وَقد أخبر بهَا أَنَّهَا فِي منزل الْحسن بن جَعْفَر النوبختي الْكَاتِب فَوجدت فِيهِ وحملت إِلَى قصر المعتضد فَبَقيت هُنَالك إِلَى أَن مَاتَت فِي الْقصر فِي أَيَّام المقتدر».

ولده المهدي:

تكاد تتفق كلمة الشيعة الإمامية على أن الإمام العسكري كان له ولد ذكر واحد وهو (محمد) المهدي وبه كان يكنّى.[1] وأما غير الإمامية فمنهم من وافق الإمامية كابن حجر الهيتمي الذي قال: «وَلم يخلف غير وَلَده أبي الْقَاسِم مُحَمَّد الْحجَّة وعمره عِنْد وَفَاة أَبِيه خمس سِنِين لَكِن آتَاهُ الله فِيهَا الْحِكْمَة وَيُسمى الْقَائِم المنتظر».[2] ومنهم من أبعد المرمى وخبط في عشواء أفكاره العقدية المسبقة غير ناظر إلى الواقع التاريخي وقد ذكرنا شيئًا عنهم في كتابنا: الإمام المهدي.[3]

مناقشة رواية مخالفة:

نعم لاحظنا في كتب الإمامية رواية غريبة تفيد بأنه ولد للإمام

(1) الخزعلي: موسوعة الإمام العسكري 1/ 32، نقل ذلك عن ابن شهرآشوب في المناقب، والطريحي الذي قال إنها كنية مشتركة بين الثلاثة المجتبى والسجاد والعسكري والغالب اطلاقها على الأخير، ومن غير الشيعة ذكر ذلك ابن حجر الهيتمي كما في المتن.
ونلحظ ذلك في الروايات عنه عليه السلام حيث لا كنية له غير أبي محمد.

(2) الهيتمي ؛ ابن حجر: الصواعق المحرقة 2/ 601.

(3) فوزي آل سيف: الإمام المهدي: «الطريف في الأمر أن أحدهم يستدل بقول الآخر على نفي ولادته، فابن تيمية يعتمد على ابن جرير وابن قانع ثم يأتي الزركلي فيعتمد على ابن تيمية، وهكذا. وأما ابن حزم الظاهري (ت 456هـ) فلا يحتاج إلى أن يعتمد على أحد بل يجزم بأن الحسن مات من غير عقب وكأنه كان شاهد موته! ويجزم في موضع آخر «أن المهدي لم يخلق قطّ» وكأنّ ملفات من خُلق ومن لم يُخلَق لا بد أن تمر عليه حتى يوقّعها! فهو يعرف من خلق ومن لم يخلق!».

العسكري (ثلاثة أو أربعة ذكور) وهي التي جاءت في كتاب الهداية الكبرى. فقد جاء فيه هكذا:

«عن الحسن بن محمّد بن جمهور، عن البشّار بن إبراهيم بن إدريس، صاحب ثقة أبي محمّد عليه السلام، قال: وجّه إليّ مولاي أبو محمّد عليه السلام كبشين، وقال: أعقرهما عن أبي الحسن عليه السلام، وكل وأطعم إخوانك.

ففعلت، ثمّ لقيته بعد ذلك، فقال: المولود الذي ولد لي مات، ثمّ وجّه لي بأربع أكبشة، وكتب إلي: بسم اللّه الرحمن الرحيم، أعقر هذه الأربعة أكبشة عن مولاك، وكل هنّأك اللّه.

ففعلت، ولقيته بعد ذلك، فقال لي: إنّما أستر اللّه، بابني الحسن، وموسى؟ لولده محمّد مهديّ هذه الأمّة، والفرج الأعظم».[1]

وتفيد هذه الرواية بوجود ابنين للإمام العسكري بالإضافة لابنه الإمام المهدي؛ الحسن (أو الحسين) و موسى، وأنهما كانا قبله، وأن الإمام قد عقّ عن ابنه ـ الحسن ـ المفترض بكبشين، ثم مات هذا الولد، ثم ولد له محمد المهدي فعقّ عنه بأربعة! وأن ابنيه ـ المفترضين ـ الحسن وموسى قد ستر الله بهما على ولادة المهدي!

ولنا مع هذه الرواية وقفات:

(1) الخصيبي؛ الحسين بن حمدان: الهداية الكبرى 358.

الأولى: أن لهذه الرواية مصدرين: كتاب الهداية هذا للخصيبي، وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي. وفيما يرتبط بالرواية على نسخة الهداية للخصيبي فإن فيها من الأخطاء والتصحيف ما يكاد يكون في كل سطر منها، وبنظرة سريعة إلى نسختها الموجودة في كتاب الغيبة نجد أنها أصح ألفاظا وأوضح معاني. وسيأتي الإشارة لذلك في نقطة لاحقة.

والرواية عند الشيخ الطوسي هي من كتاب الأوصياء لمحمد بن علي الشلمغاني[1] وهو ممن خرج اللعن بشأنه مكتوبًا من الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وأما رواية الحسين بن حمدان الخصيبي (الحضيني) المتوفى سنة 354هـ فهو ينقلها عن موسى بن محمد (الرازي) وهو مهمل في كتب الرجال وهو غير الذي يروي عن والده عن

(1) محمد بن علي الشلمغاني (قتل 320هـ) كان ممن عاصر الأئمة الثلاثة: الهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام، وله كتب كثيرة، ولكنه عندما غاب الإمام المهدي وعين السفير الثالث الحسين بن روح النوبختي ادعى أنه سفير الإمام وقام بالتهريج والمعارضة وحاول ممارسة ما يقوم به الوكيل الخاص فخرج اللعن المؤكد من الإمام بشأنه إلى حد وصفه بالكفر والارتداد وهذا بعض ما جاء فيه: «أن محمد بن علي المعروف بالشلمغاني عجل الله له النقمة ولا أمهله، وقد ارتد عن الإسلام وفارقه، وألحد في دين الله، وادعى ما كفر معه بالخالق جل وتعالى، وافترى كذبًا وزورا، وقال بهتانًا وإثمًا عظيمًا، كذب العادلون بالله و ضَلُّوا ضَلالًا بَعِيدًا، وخسروا خُسْرانًا مُبِينًا، وإنا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته منه، ولعناه عليه لعائن الله تترى، في الظاهر منا والباطن، في السر والجهر، وفي كل وقت وعلى كل حال، وعلى كل من شايعه وبلغه هذا القول منا، فأقام على توليه بعده».

الإمام الرضا عليه السلام حديثا في فضل القرآن حيث لا يمكن أن يروي الخصيبي عن هذا بحسب الطبقة.

وأما الحسين نفسه قال النجاشي في شأنه: «الحسين بن حمدان الخصيبي (الحضيني) الجنبلائي، أبو عبد الله، كان فاسد المذهب. له كتب منها: كتاب الإخوان، كتاب المسائل، كتاب تاريخ الأئمة، كتاب الرسالة تخليط».[1]

وقد وصفه العلامة الحلي في الخلاصة بألفاظ أشد مما ذكره النجاشي منها أنه: «فاسد المذهب، كذّاب، صاحب مقالة ملعون لا يلتفت إليه». واحتمل الطهراني في الذريعة أن كتاب تاريخ الأئمة هو نفسه كتاب الهداية[2] لكنه عبر عن الحسين بأنه مطعون فيه جدا[3].

وفي المقابل فقد دافع عنه السيد الأمين في الأعيان، واستظهر أن يكون منشأ ذمه هو من ابن الغضائري وأن من تلاه من النجاشي والشيخ فضلًا عمن بعدهم قد تأثروا بهذا الذم.[4] ونقل كلام الوحيد البهبهاني أن الحسين لما كان شيخ إجازة فذلك يشير إلى وثاقته.

(1) النجاشي: فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) 67.
(2) الطهراني؛ آقا بزرگ الذريعة 11/ 76.
(3) المصدر نفسه 1/ 320.
(4) الأمين؛ السيد محسن: أعيان الشيعة 5/ 490.

ويظهر من المحدث النوري كما نقل عنه تلميذه الشيخ عباس القمي التفصيل بين الكاتب والكتاب، وقال: إن المحدث النوري «قد ذكره في كتاب نفس الرحمن و ذكر بعض الأخبار الغريبة وبعض مقالات باطلة عنه، ثمّ قال في كتابه: كيف يمكن التّعويل على متفرداته. نعم، كتاب الهداية المنسوب إليه في غاية المتانة والإتقان لم نرَ فيه ما ينافي المذهب، و قد نقل عنه و عن كتابه هذا الأجلاء من المحدّثين».[1]

والذي ننتهي إليه أن الناظر إلى كتابه الهداية، يجد فيه من روايات الفضائل والكرامات ما يتفرد به ولا يوجد في كتب أخر، ورواة هذه الفضائل خصوصًا من يروي عنهم مباشرة أو بواسطة ليس لهم ذكر في كتب الرجال.

الثالثة: إن الرواية (بنصوصها المتعددة) هي متقاربة من حيث الزمان وبالتالي فإننا نعتقد أن مصدرها واحدًا وهو الشلمغاني والشلمغاني هذا يرويها عن شخص قال إنه الثقة وليس اسمه معروفًا!. فمؤلف كتاب الأوصياء وهو الشلمغاني قتل في سنة (320هـ) والمسعودي في إثبات الوصية توفي سنة (346هـ) والخصيبي توفي سنة (358) تختلف من حيث الاتقان والدقة،

(1) القمي؛ الشيخ عباس: الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية 1/ 237.

فأقلها دقة هو نص الحسين الحضيني وسنرى في مقارنة النصوص ذلك وسنثبت نص الشلمغاني والذي نقله شيخ الطائفة في كتابه الغيبة ونرى في مقابل ذلك نص الخصيبي:

قال شيخ الطائفة: «وعنه ـ محمد بن علي الشلمغاني ـ في كتاب الأوصياء قال: حدثني الثقة، عن إبراهيم بن ادريس قال: وجّه إلي مولاي أبو محمد عليه السلام بكبش وقال: عقه عن ابني فلان وكل وأطعم أهلك ففعلت، ثم لقيته بعد ذلك فقال لي: المولود الذي ولد لي مات، ثم وجه إلي بكبشين وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم عق هذين الكبشين عن مولاك وكل هنأك الله وأطعم إخوانك، ففعلت ولقيته بعد ذلك فما ذكر لي شيئا».[1]

وفي المقابل فإن النص عند الحضيني هكذا: عن محمد بن موسى عن الحسن بن محمد بن جمهور قال حدثني البشار بن إبراهيم بن إدريس صاحب ثقة لأبي محمد عليه السلام ! قال: وجّه إلى مولاي أبو محمد عليه السلام كبشين وقال: أعقرهما عن أبي الحسن عليه السلام!!، وكل وأطعم إخوانك ففعلت، ثمّ لقيته بعد ذلك، فقال: المولود الذي ولد لي مات، ثمّ وجّه لي بأربع أكبشة، وكتب إلي: بسم اللّه الرحمن الرحيم، أعقر هذه الأربعة أكبشة عن مولاك، وكل هنّأك اللّه!.

(1) الطوسي: الغيبة 246.

وفيها إضافة لم نجدها في رواية الشلمغاني ولا المسعودي وهي هكذا: «ففعلت، ولقيته بعد ذلك، فقال لي: إنّما **أستر اللّه، بابني الحسن، وموسى؟ لولده محمّد مهديّ هذه الأمّة**، والفرج الأعظم».

ولم نفهم المقصود منها! فبينما كان المولود واحدًا واسمه الحسن صار اثنين بإضافة موسى! وكيف يتم الستر به أو بهما والحال أنه قد مات؟

والحاصل بعد هذا: أن الرواية غير تامة سندًا إذ يرويها الشلمغاني الذي ورد بحقه اللعن الشديد عن الثقة ـ عنده ـ والذي لا نعرف من هو! وهكذا هي في كتاب الخصيبي فمحمدبن موسى الذي يروي عنه الخصيبي مهمل!

على أنها مخالفة للمعروف بين الإمامية في ذلك الوقت وما بعده، فهذا الشيخ المفيد رأس الطائفة يصرح في حديثه عن الإمام المهدي بأنه «كان الإمام بعد أبي محمد عليه السلام ابنه المسمى باسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، المكنى بكنيته، ولم يخلف أبوه ولدًا غيره ظاهرًا ولا باطنًا، وخلّفه غائبًا مستترًا».[1]

(1) المفيد: الإرشاد 2/ 339

ومثل ذلك ذكر ابن شهرآشوب في باب إمامة أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام: «وولده القائم عليه السلام لا غير».[1]

وكذلك أيده ابن الصباغ ورأى أنه المعروف بل المشهور فقال: «المعروف بين الشيعة الإمامية بل المشهور أنّه عليه السلام ليس له ولد إلّا المهدي المنتظر».[2]

- ويكفي أننا لا نجد ذكْرًا لأي ولد له عليه السلام في أي مرحلة تاريخية، فلا العباسيون الذين جندوا جواسيسهم للعثور على أي ولد يولد للإمام العسكري والقضاء عليه! ولا بعد شهادة الإمام ولو كان لبان.

(1) ابن شهر آشوب: المناقب 4/ 421.

(2) ابن الصباغ: الفصول المهمة 2/ 1092.

تحية وشكر

أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العاطر للإخوة الفضلاء والأخوات الفاضلات ممن ساهم بنحوٍ من الأنحاء في إنجاز هذا الكتاب، وكلها مساهمات مهمة ومقدَّرة، وأخص بالذكر منهم المهندس السيد عبد الحميد الحسني والأخوات الفاضلات أم سيد رضا، وسلمى بو خمسين، وانتصار الرشيد، وإيمان، ورملة العلوي، وزهرة اليوسف.. أسأل الله للجميع التوفيق والسداد والأجر والمثوبة، وأن يكتب لهم ولهن شفاعة الإمام الحسن العسكري وابنه المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

المصادر

- الإربلي؛ علي بن أبي الفتح: كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء ـ بيروت 1405.
- ابن الأثير الجزري؛ علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، ت عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الأزهري؛ محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، ت محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت 2001م.
- الأمين؛ السيد محسن: أعيان الشيعة، ت حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
- البروجردي؛ السيد حسين الطباطبائي: جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية ـ قم، 1399هـ.
- البغدادي؛ أحمد بن علي الخطيب: تاريخ بغداد، ت بشار معروف، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1422هـ.
- التوحيدي؛ أبو حيان، علي بن محمد: البصائر والذخائر، ت وداد القاضي، دار صادر ـ بيروت 1419.

- التستري؛ الشيخ محمد تقي: الأخبار الدخيلة، ت علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران، 1401.
- التستري؛ الشيخ محمد تقي: رسالة في تواريخ النبي والآل، تحقيق ونشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم.
- جعفريان؛ رسول: الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، دار الحق للطباعة والنشر، نسخة الكترونية.
- ابن حزم الأندلسي؛ علي بن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي ـ القاهرة.
- ابن حنبل؛ أحمد بن محمد: فضائل الصحابة، ت وصي الله عباس، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، 1403.
- الخزاز القمي؛ علي بن محمد: كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ت السيد عبد اللطيف الحسيني الخوئي، انتشارات بيدار .
- الخزعلي؛ أبو القاسم: موسوعة الإمام العسكري عليه السلام، مؤسسة ولي العصر، قم، 1426.
- الخزعلي؛ أبو القاسم: موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، مؤسسة ولي العصر، قم، 1424.
- الخصيبي؛ الحسين بن حمدان: الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ ـ بيروت، 1411.

- خطب الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، ت صبحي الصالح، 1387هـ.
- الخطيب البغدادي؛ أحمد بن علي بن ثابت: تاريخ بغداد، ت بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1422هـ.
- ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1391.
- ابن خلكان؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.
- الخوئي؛ السيد أبو القاسم الموسوي: صراط النجاة استفتاءات لآية الله العظمى الخوئي، تجميع موسى مفيد الدين عاصي، دفتر نشر برگزيده.
- الخوئي؛ السيد أبو القاسم الموسوي: معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، مركز نشر الثقافة الإسلامية قم إيران.
- ابن دريد الأزدي؛ محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، ت رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين ـ بيروت، 1987م.
- الرازي؛ فخر الدين: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، 1420.
- الراوندي؛ قطب الدين: الخرائج والجرائح، ت السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، نشر مؤسسة الإمام المهدي ـ قم، 1409.

- الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين ـ بيروت، 1980.
- السبحاني؛ الشيخ جعفر: الإلهيات، تقرير حسن العاملي، الدار الإسلامية ـ بيروت، 1409.
- سزگين؛ فؤاد: تاريخ التراث العربي، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، 1412.
- السند؛ الشيخ محمد: الحياة السياسية للإمامين العسكريين عليهما السلام ت إبراهيم حسين البغدادي، الكلمة الطيبة، 2013.
- آل سيف؛ فوزي: النقي الناصح الإمام علي بن محمد الهادي، دار المحجة البيضاء، بيروت.
- ابن أبي شيبة الكوفي؛ عبد الله بن محمد: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ت كمال الحوت دار التاج ـ لبنان، مكتبة الرشد ـ الرياض، 1409هـ.
- الصالحي النجف آبادي؛ الشيخ عبد الله: موسوعة مكاتيب الأئمة، بدون دار نشر أو تاريخ.
- ابن الصباغ المالكي؛ علي بن محمد أحمد: الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ت سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر 1422.

- الصدوق ؛ محمد بن علي بن بابويه: الاعتقادات، ت عصام عبد السيد، دار المفيد، 1414هـ.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: التوحيد، ت السيد هاشم الحسيني الطهراني منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم.
- الصدوق ابن بابويه؛ محمد بن علي بن الحسين: من لا يحضره الفقيه، ت علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ت الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: كمال الدين وتمام النعمة، ت علي أكبر الغفاري، لجماعة المدرسين بقم، 1405.
- الصفار؛ محمد بن الحسن بن فروخ: بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، ت الحاج ميرزا محسن، منشورات الأعلمي ـ طهران.
- الصفدي؛ خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى دار إحياء التراث ـ بيروت 1420هـ.

- ابن طاووس الحسني؛ السيد علي: إقبال الأعمال، ت جواد القيومي الأصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، 1414.
- ابن طاووس الحسني؛ السيد علي: مهج الدعوات ومنهج العبادات، مكتبة سنائي، قم.
- الطبرسي؛ أحمد بن علي الاحتجاج، ت السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر ـ النجف الأشرف، 1386 ـ 1966 م.
- الطبرسي؛ الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم 1417.
- الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار التراث ـ بيروت ـ 1387هـ.
- الطبري (الشيعي)؛ محمد بن جرير: دلائل الإمامة، ت قسم الدراسات الإسلامية ـ مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة قم 1413.
- الطوسي؛ ابن حمزة الثاقب في المناقب، ت نبيل رضا علوان، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ـ قم 1412.
- الطوسي؛ محمد بن الحسن: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ت السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم إيران 1404هـ.

- الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، ت السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية طهران ـ 1390هـ.
- الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: الغيبة، ت عباد الله الطهراني، مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم المقدسة 1411.
- الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت، 1411.
- الطهراني؛ آقا بزرك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء ـ بيروت، 1403.
- العاملي؛ محمد بن الحسن الحر إثبات الهداة إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- العاملي؛ محمد بن الحسن الحر: وسائل الشيعة إلى تفصيل مسائل الشريعة (آل البيت) ت مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.
- عبد الغني؛ عارف أحمد: أمراء المدينة المنورة، دار كنان.
- عبد الوهاب؛ المحدث حسين: عيون المعجزات، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، 1369.

- العسكري، الإمام الحسن: التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام 1409.
- عطاردي؛ الشيخ عزيز الله: مسند الإمام العسكري عليه السلام، دار الصفوة ـ بيروت، 1413.
- القرطبي؛ محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، دار الكتاب العربي، بيروت 1422هـ.
- القزويني؛ أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ.
- القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- القلقشندي؛ أحمد بن عبد الله: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ت عبد الستار فراج، وزارة الإرشاد والأنباء.ـ الكويت، 1964.
- القمي؛ الشيخ عباس: الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، دفتر نشر تبليغات إسلامي، قم.
- القندوزي الحنفي؛ سليمان بن إبراهيم: ينابيع المودة لذوي القربى، ت سيد علي جمال الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، 1416.
- الكليني؛ محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي، تحقيق ونشر دار الحديث للطباعة والنشر، قم، 1430.

- الكوراني؛ علي: الإمام الحسن العسكري عليه السلام والد الإمام المهدي الموعود، دون دار نشر، 1435.
- اللواتي؛ مشتاق موسى: مجلة نصوص معاصرة عدد يونيو 2019 (نسخة إلكترونية) بحث بعنوان: قراءةٌ في فرضيات القراءة المنسيّة. قرئ بتاريخ 3 رمضان 1444.
- المازندراني؛ ابن شهرآشوب؛ رشيد الدين محمد بن علي: المناقب، مؤسسه انتشارات علامة، قم.
- المتقي الهندي؛ علي بن حسام: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ت الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة.
- المحسني؛ الشيخ محمد آصف: معجم الأحاديث المعتبرة، نشر اديان ـ قم، 1434.
- المسعودي؛ علي بن الحسين: إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، انصاريان ـ قم 1426.
- المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، منشورات دار الهجرة إيران ـ قم، 1404.
- المفيد؛ محمد بن محمد بن النعمان العكبري: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد.

- المفيد: محمد بن محمد بن النعمان: تصحيح اعتقادات الإمامية، ت حسين درگاهي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 1414.
- المنجد؛ صلاح الدين: بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي، دار الحياة، بيروت، 1957 (نسخة إلكترونية قرئت بتاريخ 2/ 9/ 1444هـ).
- مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام:أحمد بن إسحاق الثقة المرضي، انتشارات پيام امام هادي عليه السلام، 1428.
- النجاشي؛ الشيخ أبو العباس أحمد بن علي: فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي) ت السيد موسى الشبيري الزنجاني قم 1416.
- النجفي؛ الشيخ هادي: موسوعة أحاديث أهل البيت، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 1423.
- الهاشمي الشاهرودي؛ السيد محمود: موسوعة الفقه الإسلامي المقارن، تحقيق ونشر مؤسسة دائرة المعارف فقه إسلامى بر مذهب اهل بيت عليهم السلام، 1432.
- الهيتمي؛ أحمد بن محمد بن حَجر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ت عبد الرحمن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1417هـ

الفهرس

مقدِّمة 5

سطور تعريفية 7

الإمام العسكري من الميلاد إلى الاستشهاد 8

1/ والدته وميلاده المبارك 8

2/ من المدينة إلى سامراء 10

3/ الإمام العسكري في فترة إمامة أبيه 15

4/ اعتقال الإمام العسكري أيام الخلفاء 21

روايات أخر عن سجنه عليه السلام 29

الأولى غير محددة الوقت 29

والثانية ؛ تثير تساؤلًا 31

قضية الجاثليق ونزول المطر 31

5/ شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام 38

6/ من أعمال الإمام العسكري في فترة إمامته 41

ـ التعريف بخليفته المهدي عليه السلام 44

ميزات الإمامة الشيعية (الإمام العسكري نموذجًا) 49

فمن ميزات الإمام عند الشيعة (والإمامة بالتالي) 49

اتجاهات مخالفة لفكرة الإمامة الإلهية 55
مناقشة سريعة للاتجاهات تلك 57
الإمام العسكري والمجتمع الشيعي الموازي 62
1/ القيادة الإلهية محور المجتمع الشيعي 69
2/ المنظومة العقدية والتشريعية الخاصة 70
3/ المرجعية والنظام القضائي الخاص 71
أساليب الأئمة لحفظ المجتمع الموازي 73
المجتمع الشيعي الموازي وعلامات مميزة 77
الجانب العلمي في حياة الإمام العسكري 79
مما روي عنه من الصلوات والزيارات ودلالاتها 88
نص الصلوات عليهم 91
دلالات زيارة الإمام الحسين عليه السلام في مولده 99
الإمام العسكري وقضايا القرآن 105
هل تفسير القرآن هو للإمام العسكري أو لا؟ 105
ثلاثة مواقف للعلماء تجاه التفسير يمكن أن نلحظها 106
حجج الرافضين والمثبتين 107
ويحتج الرافضون للكتاب لرأيهم بما يلي 107
وفي المقابل فإن المثبتين له يقولون 108
الفيلسوف الكندي وتناقضات القرآن 109
طرق في التوفيق بين الرواية والمعطيات التاريخية 117
نظرة في توقيعات الإمام (العلمية) 122

العقائد 123
في الفقه والأحكام العبادية 126
الطهارة والصلاة 127
المعاملات 130
إخبارات المستقبل وما في الضمير 134
مسائل مشتركة في أيام العسكريين عليهما السلام 138
الأولى: قصر أعمار الأئمة 139
الثانية: الإمامة في عمر مبكر 141
الثالثة: ظاهرة الاحتجاب عن الناس 142
ـ المكاتبة والتوقيعات 146
من وكلاء الإمام العسكري عليه السلام 150
عثمان بن سعيد العمري 150
أحمد بن إسحاق الأشعري القمي 150
علي بن جعفر الهماني البرمكي 151
عناوين رسالة الإمام العسكري لوكيله إسحاق بن إسماعيل النيشابوري 152
مواقف الحكام العباسيين من الإمام العسكري 163
الحياة الأسرية للإمام العسكري عليه السلام 177
والدته المكرمة سليل 177
نساؤه؛ السيدة نرجس 179
معاناتها قبل وبعد شهادة الإمام العسكري 182
ولده المهدي 186

مناقشة رواية مخالفة 186
تحية وشكر 194
المصادر 195
الفهرس 205